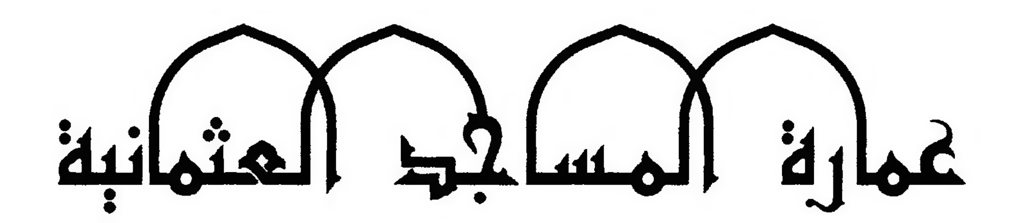



محمود زين العابدين




بسم الله الرحمن الرحيم

**الطبعة الاولى**

**2006**






دار قابس ش م م
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - ساحة الغبيري - ص ب ٢٧٤/٢٥ - هاتف ٥٥٩٣٩٣/٠١ - فاكس ٣٨٢٦٢٢ ٠١
LEBANON - BEIRUT - GHOBEIRY - P O.BOX 274/25 - TEL 01-559393 - FAX 01-382622
E-mail.: dar_qabes@hotmail.com

# الإهداء

إلى رفيقة دربي

زوجتي مرام

وإلى

أملي بالغد القادم

ولدي منتصر ومحمد

# المحتويات

# تقديم

تشهد العمارة العثمانية على عبقرية مبدعيها الذين استطاعوا التوفيق في أعمالهم بين الدراسة الإنشائية والدراسة المعمارية بانسجام عضوي متكامل ودون أن ننسى أهمية المنشآت السابقة للعصر العثماني. فإن عام ١٤٥٣م الذي حقق فيه محمد الفاتح فتح القسطنطينية، كان بداية لتكون عمارة عثمانية تطورت بسرعة، ووصلت قمة الإبداع والتصميم على يد المعماري سنان الذي رافق خمسة من السلاطين العثمانيين، وأنشأ في عهدهم عدداً كبيراً من المنشآت وصل إلى ٣٦٤ بناء موزعة في أراضي السلطنة أهمها المساجد الكبرى مثل: السليمانية في إستانبول، والسليمية في أدرنة مما عرضه المؤلف في هذا الكتاب بتحليل دقيق واضح، مع غيرها من منشآت سنان العظيم الذي أطلق عليه اسم «دافنشي المسلمين».

يشير عنوان هذا الكتاب إلى نيّة البحث في عمارة المساجد العثمانية، وقد قدّم المؤلف كتابه بلمحة عن أقسام عمارة المساجد وعناصرها، ثم ابتدأ في الفصل الثاني حديثه عن بداية المساجد العثمانية وعن أثر الطابع البيزنطي في المرحلة الانتقالية، ونجاحه في اقتباس القباب التي تغطي حرماً واسعاً مع تحاشي الأعمدة الحاملة التي تفسد رحابة الفضاء الداخلي للحرم.

ومع أن بناء كنيسة أياصوفيا كان نموذجاً اقتدى به المعماريون الأوائل، إلا أن هذا البناء بصرف النظر عن صفته الدينية، وهو بناء أصيل كان قد أقامه عام ٥٣٧م معماريان سوريان هما: إيسيدور المعمار، وابن أخيه إيسيدور الصغير الذي أعاد بناء القبة بعد تهدمها. لذلك فإن العمارة العثمانية كانت استمراراً لعمارة أصيلة أنشأها أبناء البلاد الأصليون. وأهم ما تمتاز به قبة هذه الكنيسة التي أصبحت مسجداً هو قطرها الواسع (٣١م) وارتفاعها الشامخ (٥٤م)، ولقد احتواها من الجانبين نصفا قبة ارتكز على محاريب.

ثم توقف المؤلف للبحث عن عبقرية المعماري سنان وإنجازاته الرائعة. ومن حسن حظ سورية أن المعماري سنان الذي قد رافق السلطان سليم في تقدمه في سورية ومصر، واطلع على العمارة القائمة في هذه الأقطار العربية، تفتقت قريحته الإبداعية في تصميم أول أعماله المعمارية عام ١٥٣٧م في بناء مجمع الخسروية في حلب، والمؤلف من مسجد ودار للمرق ومدرسة ودار ضيافة وحمامات. ولجأ في تخطيط المسجد إلى شكل الحرف ( T ) المقلوب بقصد زيادة المساحة في الجانبين، وبهذا نجح سنان في تقديم مجمع ذي وحدة معمارية متكاملة في حجومها وفراغاتها، منسجمة مع البيئة والموقع.

لقد تجاوز سنان براعة مصمم أياصوفيا في تخطيط المسجد ذي نصفي القبة في مجمع السليمانية الذي يشتمل على ١٨ مبنى عدا الأضرحة. وفي أدرنة استطاع سنان أن يجمع في جامع السليمية كل ابتكاراته، مما جعل هذا المبنى رائعته الخالدة بهيبته المتمثلة بقبته الواسعة التي تفوق قبة أياصوفيا اتساعاً. ولكن تبقى قبة السليمانية أكثر تعقيداً وعنواناً لعبقريته في تصميم القباب.

لقد كتب الكثير عن عمائر العثمانيين التي تمتاز بخصائص معمارية فذة، أصبحت نموذجاً يقتدى في أنحاء السلطنة العثمانية وبخاصة في سورية.

وفي هذا الكتاب لخّص المؤلف الحديث عن روائع المساجد العثمانية بأسلوب رشيق واضح، مما يسهل على القارئ الاطلاع على خصائص هذه العمارة التي مازالت ماثلة، وبخاصة في إستانبول، وقليل منها في دمشق التي تزهو بعمارة التكية السليمانية بوصفها واحدة من أعمال المعماري سنان.

لقد عرفت المؤلف شخصياً ومن خلال آثاره، ووجدت فيه الباحث المدقق الطموح. وإذا كان هذا الكتاب يأتي بعد كتابه الأول عن البيت التركي والعربي، فإن الكتابين يشتركان في توطيد العلاقة التراثية المعمارية بين الجارتين سورية وتركيا التي استمرت أربعة قرون. وكان الباحث قد تعمق دراسياً في هذا التراث، فكان عليه أن يظهر معالمه وخصائصه في كتب سلسة ميّسرة وموضحة، فله الثناء والتقدير.

**الأستاذ الدكتور عفيف البهنسي**

دمشق ١٣ جمادى الأول ١٤٢٦هـ

الموافق ٢٠ حزيران (يوليو) ٢٠٠٥م

# مقدمة

مع تزامن مرور ٧٠٠ سنة على تأسيس الدولة العثمانية، كتب عدد من الباحثين والمستشرقين عنها، مقدمين عدة أبحاث وموسوعات تناولوا فيها أمجاد هذه الحضارة.. فمنهم من تحدث عن السلاطين وفتوحاتهم، ومنهم من كتب عن الفنون العثمانية وجماليتها وعراقتها.

وقد آثرت تسليط الضوء على تاريخ هذه الإمبراطورية التي انضوى تحت رايتها عدد من البلدان في قارات آسيا وإفريقية وأوروبا. وربما كان التركيز الأكثر في جميع الدراسات في العمارة الدينية، ونقصد بها عمارة المساجد، لطرازها المعماري المتميز من باقي الحضارات الإسلامية السابقة، كالأموية أو العباسية أو المملوكية.

ويبقى اسم المعماري سنان مرتبطاً كل الارتباط بهذه النهضة، لدوره البارز في عمارة المساجد العثمانية، معتمداً في أعماله على تطوير العلاقة بين الفراغ والهيكل الإنشائي، وذلك بتوسيع الفراغ الرئيس المفرد وتضخيمه بواسطة عدد من الفراغات الثانوية التي أحاطت به، ضمن شكل فني رائع ومتجانس، محققاً مبدأ الوحدة الفراغية في جميع أعماله..

أما عن الأسباب التي دفعتني إلى الحديث عن عمارة المساجد العثمانية، فإنه يعود إلى دراستي الهندسة المعمارية في جامعة يلدز للتقنية بين عامي ١٩٨٩ ـ ١٩٩٤م في مدينة إستانبول بتركيا، ولزياراتي المتعددة للمساجد المنتشرة في أرجاء تركيا. منطلقاً من مدينة بورصة التي كانت العاصمة الأولى للدولة العثمانية ومنتقلاً إلى مدينة أدرنة العاصمة الثانية، مع التركيز في مدينة إستانبول العاصمة النهائية للدولة العثمانية، لكونها مركز الحكم، ومكان إقامة السلاطين العثمانيين، فقد حظيت بأكبر عدد من هذه المساجد، معتمداً على الدراسة الميدانية في توثيق المعلومات والمخططات وجمعها، وفي التقاط الصور لجميع هذه المساجد التي اعتمدت عليها في دراستي. ويضيق المجال عن الدخول في التفاصيل، خصوصاً أن هناك بحوثاً قد تناولت هذا الموضوع بشكل مفصل وواضح ضمن كتب وموسوعات ضخمة، ولهذا تم التركيز في أهم هذه النماذج فقط.

لقد كانت بداية بحوثي عن المساجد العثمانية، بإقامة معرض للصور الفوتوغرافية تحت عنوان: المساجد العثمانية في تركيا وسورية، في مبنى السفارة التركية بالرياض، مع تحضيري لنشرة عن تاريخ المساجد العثمانية، وزعّت على زوّار المعرض باللغتين العربية والإنجليزية.

وقد جاء الكتاب في أربعة فصول، وفي الفصل الأول قمت بدراسة أقسام المسجد، مع عناصره المعمارية التي ظهرت وتطوّرت ضمن عدة حضارات إسلامية، ثم قمت في الفصل الثاني بدراسة تاريخ المساجد العثمانية في تركيا، وما رافقه من مراحل تطّور في أشكال هذه المساجد التي تأثّرت بالطابع البيزنطي(كنيسة أياصوفيا). مع الحديث عن

المعماري سنان، وعن أهم أعماله، منتقلاً لمرحلة تدهور العمارة العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

في الفصل الثالث، درست العمارة العثمانية في سورية، من خلال خمسة نماذج هي: المدرسة الخسروية، جامع العادلية، جامع البهرمية، التكية السليمانية والمدرسة العثمانية، بالإضافة إلى دراسة مميزات العمارة العثمانية في سورية.

أما في الفصل الرابع والأخير، فقد قمت ببحث عن التأثير العثماني في العمارة العربية الإسلامية في سورية، خلال القرن السادس عشر ( ١٥٣٧ ـ ١٥٩٠م ).

وكان الهدف من دراستي إثبات صحة الفرضية أو عدم صحتها، وذلك بمعرفة ملامح هذا التأثير. حيث درست المساجد في سورية قبل التأثير العثماني وبعده، مع مراجعة مراحل تطور المساجد العثمانية في تركيا بعناصرها الرئيسة والتفصيلية والمعمارية.

لقد اعتمدت على الصورة بشكل كبير وواضح، لأنها قادرة على نقل جزئيات العمارة وتفاصيلها بدقة شديدة، تعجز الكلمة بالتعبير والشرح عنها أحياناً.

راجياً أن يكون في هذا الكتاب الفائدة لكل من أراد التعرف إلى جزء من هذه الحضارة الغنية، ليبقى لنا التاريخ خير نبراس ومرجع، ونحن نراجع مآثر السلاطين وأعمالهم، من خلال الوثائق المحفوظة التي تثبت أهمية تلك الفترة التي دامت ستة قرون، وبما شهدته سورية من أحداث وتطورات خلال العهد العثماني الذي دام أربعة قرون.

ويظل للدولة العثمانية بصمة حضارية إسلامية على مَرِّ الزمن، وخير دليل على ذلك تلك المساجد العثمانية المنتشرة في أرجاء المعمورة، بارتفاع مآذنها المخروطية المدببة وبضخامة قببها المركزية. وهي تستقبل المصلين والباحثين في جو مفعم بالخشوع والهيبة، لتكون مدعاةً للتفكير والتأمل.

والله وليّ التوفيق ....

**محمود محمد راضي زين العابدين**

الريـاض: ٢٤ محرم ١٤٢٦هـ

الموافق: ٥ مارس (آذار) ٢٠٠٥م





# المساجدْ
# رمز الحضارة المعمارية

المسجد هو بيت الله، وموطن العبادة والصلاة، وهو مكان مخاطبة الخلق للخالق، ومكان طهر ونقاء وتفكر، ومكان لقاء المصلين واجتماعهم لأداء الصلوات الخمس، لمزيد من التعاضد والتواصل والتراحم.

فدعونا نبحر في هذا العالم ونحن نعود إلى مراحل تطور المساجد، مع دراسة المراحل الرئيسة التي ضمها في عدة عقود، حملت لنا هذه العناصر المزيد من البهاء والروعة والفخامة، على الرغم من أن ديننا يحث على البساطة والتواضع، وخير مثال مسجد قباء وهو أول مسجد أسسه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على التقوى.

هكذا ظهر فن العمارة الإسلامي، وانطلق من شبه الجزيرة العربية ممتداً إلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس، إضافة إلى الدول التي انتشرت فيها الدعوة الإسلامية، كبلاد فارس، وتركيا، والهند والصين ومناطق الشرق الأقصى.

## أقسام المسجد:

ينقسم المسجد من حيث الأمكنة إلى خمسة أقسام أساسية، ولكل مكان أهميته ووظيفته الخاصة، إلا أن جميع هذه العناصر تترابط فيما بينها بشكل وثيق.

**بيت الصلاة:** هو المكان الأكثر أهمية في المسجد؛ لأنه مكان الصلاة والعبادة، ويكون مسقوفاً بالقبة المركزية، بالإضافة إلى الأعمدة والعقود، ويتألف من أروقة رأسية وعرضية، وحظي هذا المكان بالزخارف والتزيينات والكتابات القرآنية على الجدران، وتميز بمساحته الواسعة، وبانقاص عدد الأعمدة كي تساعد المصلي في أداء الصلاة ضمن صفوف متوازية لجدار القبلة

بيت الصلاة في جامع السليمية بمدينة أدرنة - تصوير. المؤلف.





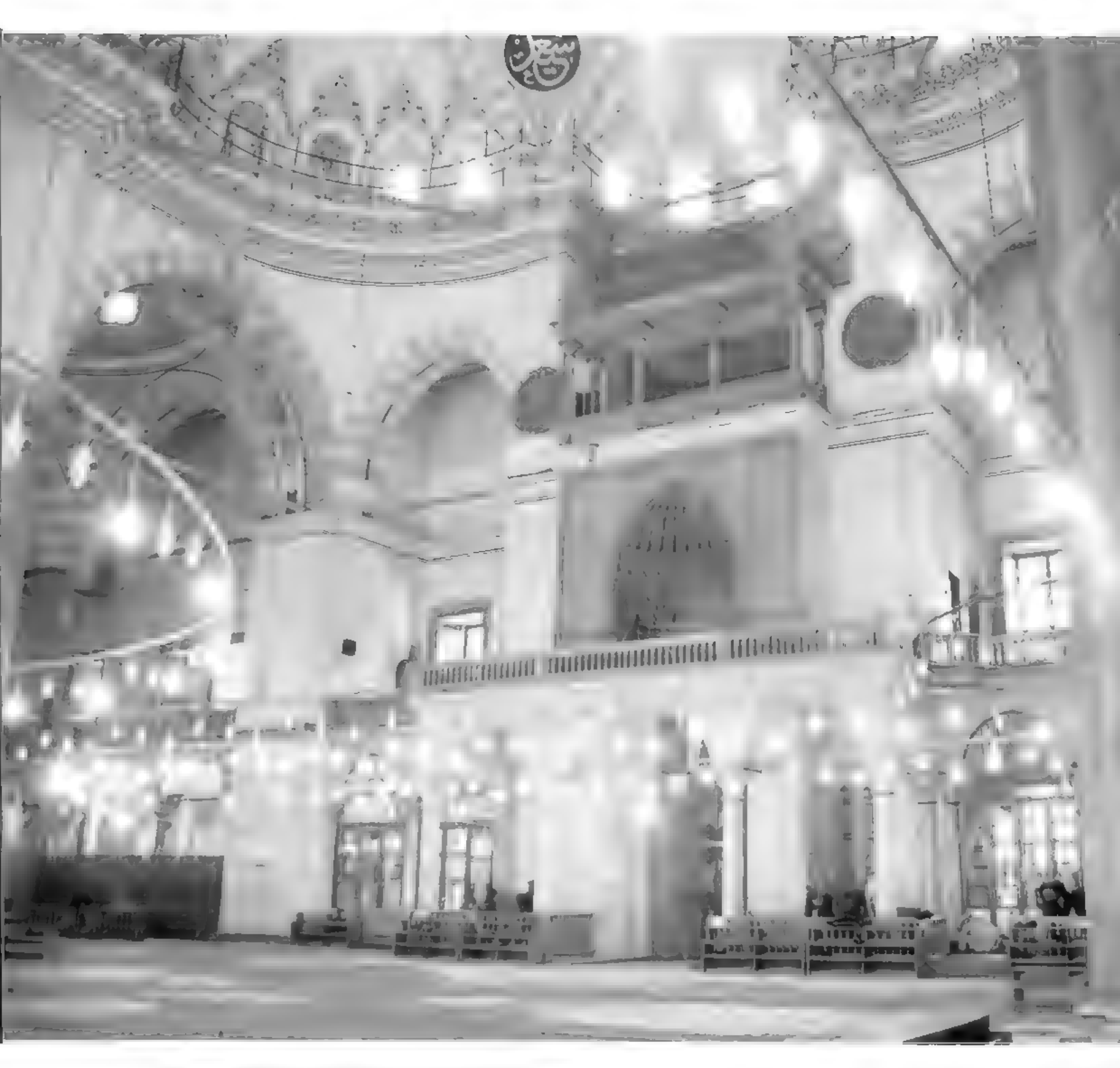
الصحن الواسع والمحاط بالبوائك بجامع السليمية في مدينة أدرنة - تصوير: المؤلف.

**المقصورة:** تعّد المقصورة من الأقسام غير الرئيسة في المسجد، علماً أنها تشغل حيزاً من بيت الصلاة، وهي على شكل غرفة، كان يؤدي فيها الحاكم الصلاة، وبمعزل عن باقي الشعب، إلا أنها ألغيت فيما بعد.

**السدة:** هي السقيفة المقابلة للمحراب والمنبر، وتعتلي المدخل الرئيس مباشرة، وتكون السدة عادة من الخشب، إلا أنها تحولت لسقيفة حجرية، يصعد إليها المؤذن والمصلون من خلال درج خلفي، وهذا ما يمكّن المؤذن من رؤية حركة الإمام بسهولة، ليعيد التكبيرات بعده في حال عدم سماع صوت الإمام في أثناء الصلاة

**الصحن:** هو القسم الثاني للمسجد، ويتميز هذا القسم بأنه مكشوف، تتوزع على أطرافه الأروقة ذات القباب لتقوم بوظيفة التظليل، وفائدة هذا المكان هو لقاء المصلين قبيل أداء الصلاة أو بعدها للنقاش في الأمور الدينية أو الاجتماعية، وما الصحن إلا شكل متطور للرحبة التي تعود إلى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد بدأ الاهتمام بصحن المسجد والعناية به مع تطور العمارة الإسلامية من خلال بناء الحدائق الغنّاء في داخله، أو ببناء أحواض الوضوء ذات القباب والنقوش المعمارية الإسلامية.

**الميضأة:** عنصر أساسي ومهم جداً في المسجد، فهي المكان الذي يضم المرافق الصحية، إضافة إلى مكان الوضوء، وهي على شكل حوض تلتف الناس حوله، ويمكن الدخول للميضأة من باب خارجي مفصول عن المسجد، متصل بصحنه، وترتبط مساحة الميضأة بمساحة المسجد بشكل عام



السدة في بيت الصلاة بجامع محمد الفاتح في مدينة إستانبول ـ تصوير المؤلف.

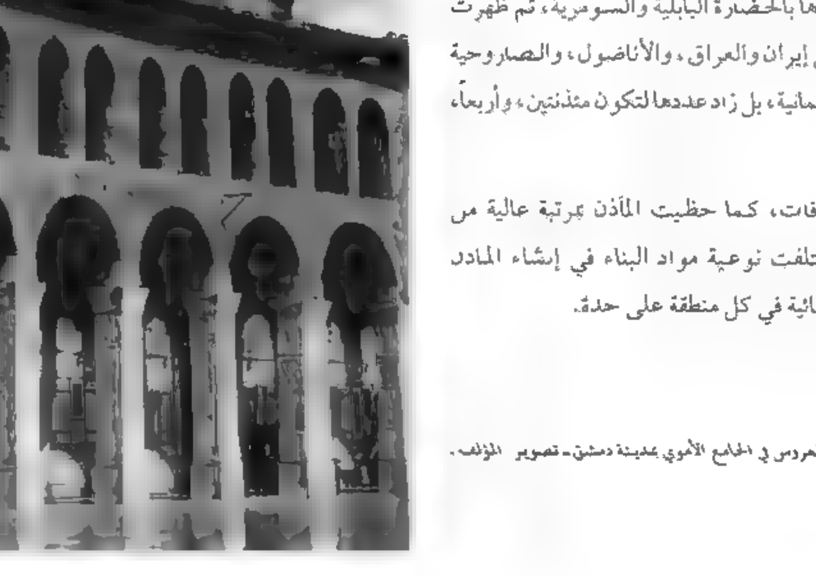
# العناصر المعمارية للمسجد

إن جميع العناصر المعمارية للمسجد، التي سنتناولها لم تكن موجودة في بدايات بناء المساجد الإسلامية، أي: أيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأيام الصحابة الكرام رضي الله عنهم، بل ظهرت لاحقاً مع بداية الدولة الأموية، ثم تطورت، وتعدلت، وخضعت لعناية خاصة في العهود السابقة، وصارت عناصر أساسية وثابتة، لا يمكن الاستغناء عنها في جميع المساجد.

## المئذنة:

ذلك البرج المرتفع بأشكاله الكثيرة: الدائرية، أو المربعة، أو المثمنة، كانت الغاية منه صعود المؤذن إلى أعلى شرفة جامعاً المصلين بأذانه وصوته الجهير المرتفع، لمسح أكبر مساحة محيطة بالمسجد، وتتداخل أصوات المؤذنين فيما بينهم لتقارب المساجد، وتلاصق الأحياء، إذ إن لكل حي مسجده الخاص، وإمامه وجماعته الثابتة من المصلين، ولو عدنا إلى تاريخ المآذن في عمارتنا الإسلامية لوجدنا أن أول مئذنة أنشئت في عهد معاوية بأمر منه مع بناء الجامع الأموي في دمشق عام ٧٠٦م ذات الشكل البرجي المربع، وبارتفاع شاهق، متأثرة بأبراج الكنائس التي كانت مصدر إلهام لها، أما عن أشكال المآذن، فكان شكلها مربع في كل من سورية والأندلس وشمال إفريقية، وتحولت إلى شكل حلزوني في سامراء والفسطاط لتأثرها بالحضارة البابلية والسومرية، ثم ظهرت المآذن الأسطوانية في كل من إيران والعراق، والأناضول، والصاروخية المدببة في الإمبراطورية العثمانية، بل زاد عددها لتكون مئذنتين، وأربعاً، وأحياناً ست مآذن.

للمئذنة شرفة أو عدة شرفات، كما حظيت المآذن بمرتبة عالية من الزخارف والنقوش، واختلفت نوعية مواد البناء في إنشاء المآذن لارتباطها بتوفر المواد الإنشائية في كل منطقة على حدة.




مئذنة العروس في الجامع الأموي بمدينة دمشق - تصوير المؤلف.

## القبـــة:

عنصر معماري آخر ظهر في العمارة الإسلامية، وفي العصر الأموي بالذات متأثراً بالكنائس في بلاد الشام، وأول مثال للقباب الإسلامية قبة مسجد الصخرة في بيت المقدس التي شيّدت بأمر من عبد الملك ابن مروان عام٦٩١م. وهكذا صارت القباب من بين العناصر الأساسية والمهمة في المساجد، منذ بداية العصر الأموي إلى عصرنا الحالي، على الرغم من خضوعها لعدة أشكال وفق العصور التي مرت بها مع اختلاف المواد الإنشائية، باستخدام الحجارة أو القرميد، ففي العهد الأيوبي ظهر شكل جديد لقباب، وذلك بتشييدها على عنق مضلع ذي نوافذ صغيرة لتوفير الإنارة الطبيعية لداخل المسجد، ثم تطورت في العصر المملوكي بأشكال نصف كروية ومضلعة وبيضوية

أما في العصر العباسي فظهرت محاريب، في الأركان الأربعة. وقد استخدم السلاجقة ثلاثة أحجام في إنشاء القباب. أما الحامات الموئة بين القوالب فكانت رقيقة السمك، إلا أن القباب العثمانية تأثرت بشكل واضح وكبير بالقباب البيزنطية، وأهم مثال هو كنيسة أياصوفيا التي حولها السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية عام١٤٥٣م إلى مسجد يؤمه المصلون كافة.

قبة مسجد الصخرة أول نموذج للقباب في العمارة الإسلامية



## المـنبـــر:

عنصر أساسي ومهم في المساجد؛ لأنه المكان الذي يرتقي إليه الخطيب في أيام الجمعة، أو في الأعياد والمناسبات الدينية الخاصة، ليخطب في المصلين ويحثهم على طاعة الله والتمسك بأوامره وسنة رسوله

أبسط شكل للمنبر كان جذع شجرة يقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يتمكن جميع المصلين من رؤية وجهه الكريم، ثم صنع له الصحابة الكرام منبراً خشبياً متواضعاً مؤلفاً من مرقاتين فقط. وتطور المنبر تطوراً كبيراً، من حيث الزخارف والنقوش والتزيينات، سواء أكان خشبياً أم حجرياً أم رخامياً

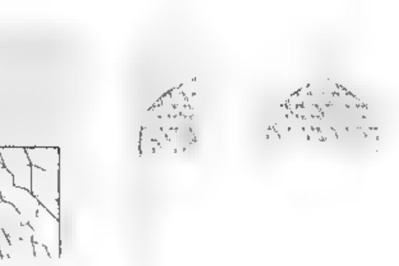
العلاقة بين المنبر والمحراب في الجامع الأموي بمدينة دمشق - تصوير المؤلف

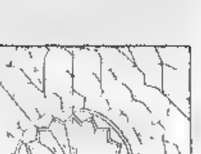


المقرنصات التي تعلو المحراب في الجامع الأموي بمدينة دمشق ـ تصوير: المؤلف

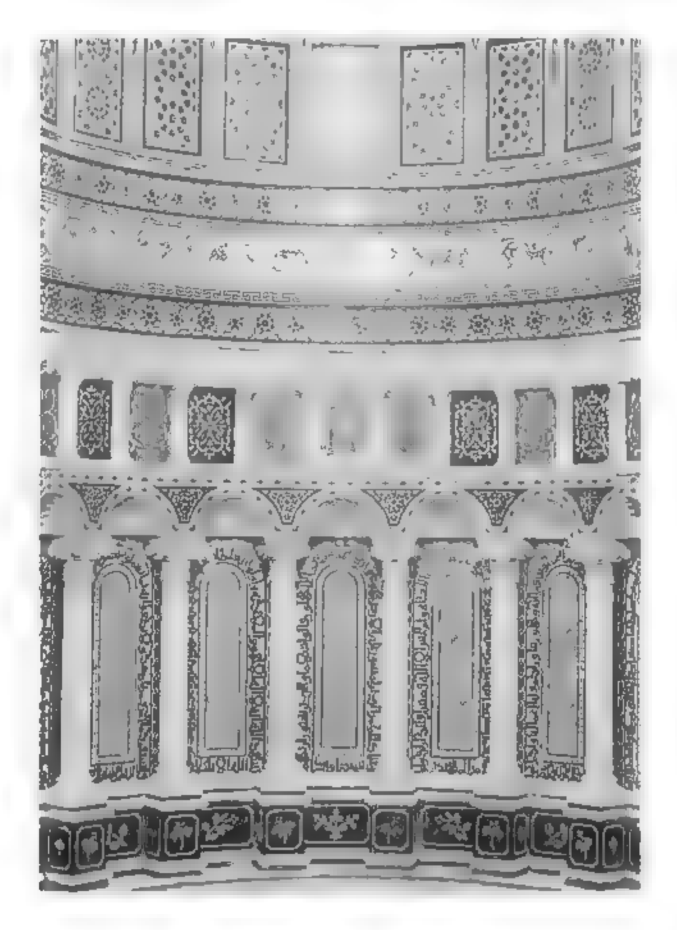
## المحـراب:

أخذ المحراب شكل حنية مجوفة في الجدار الأساسي للمسجد موضحاً جهة القبلة؛ أي مكان الكعبة المعظمة، أما ظهر المحراب، فمقسم إلى حشوات مستطيلة ذات نسب مختلفة، زخارفها نباتية وهندسية، وهنالك المحاريب الخشبية المتنقلة أيضاً، كما هو الحال عليه في المنابر.





مقاطع مقرنصات قبة محراب كوكب في سنجار



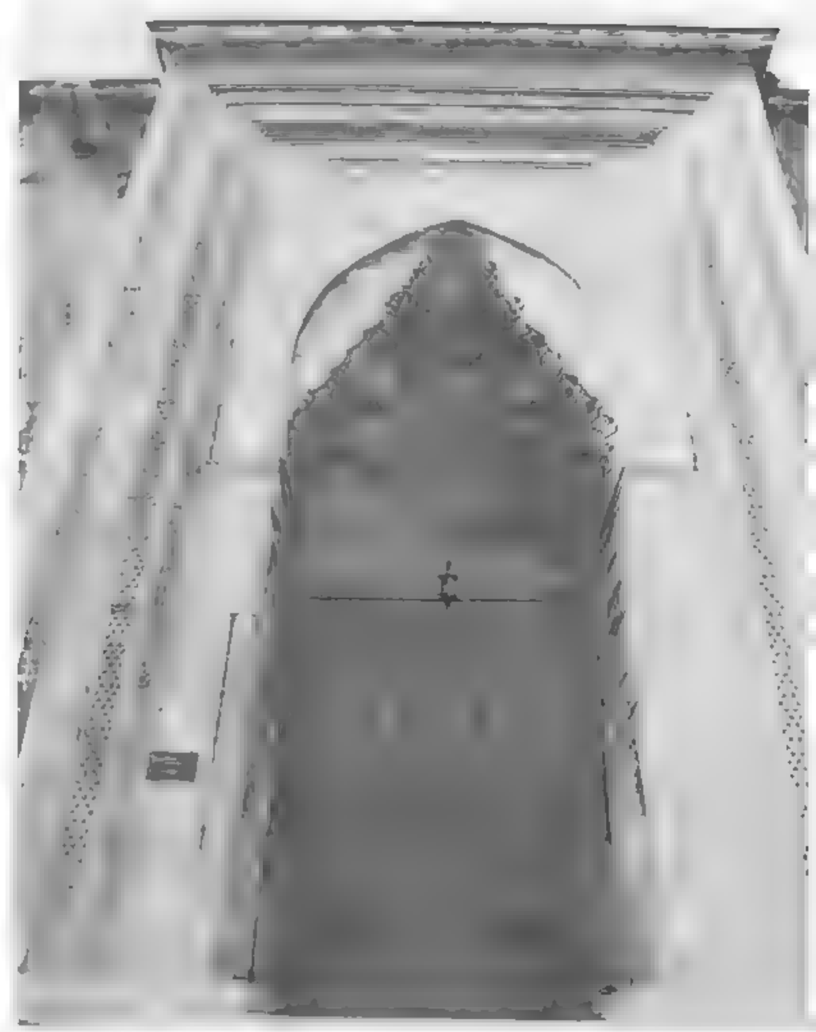
زخارف المحراب من الداخل بالجامع الأموي في مدينة دمشق ـ تصوير: المؤلف

## الحليات المعمارية:

**أ ـ الأحجار الملونة:** استخدم نظام التلوين بالأحجار ذات الألوان المختلفة، وهذا ما يسمى نظام الأبلق، وكلمة أبلق هي صفة خاصة بالخيل الذي خالط بياضه اللون الأسود، حيث نجد استخدام الرخام [illegible]



أشكال المقرنصات في العمارة الإيرانية

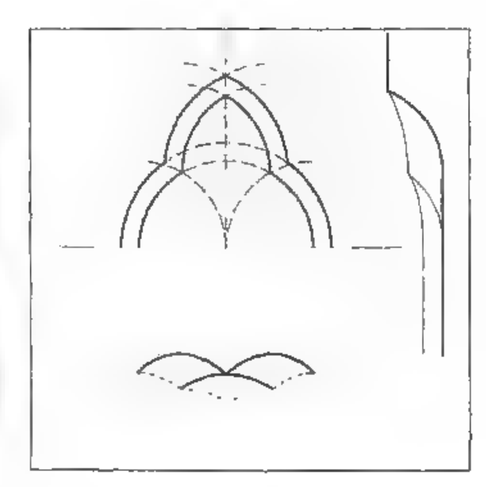


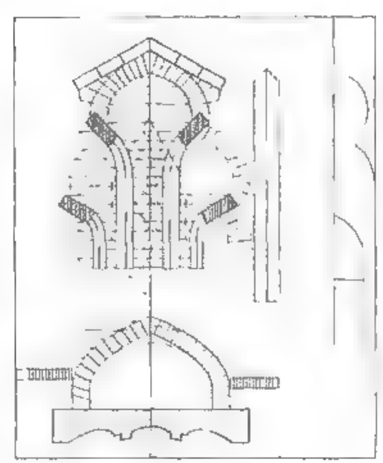
نموذج للمقرنصات فوق باب الجامع الكبير بمدينة بورصة ـ تصوير المؤلف

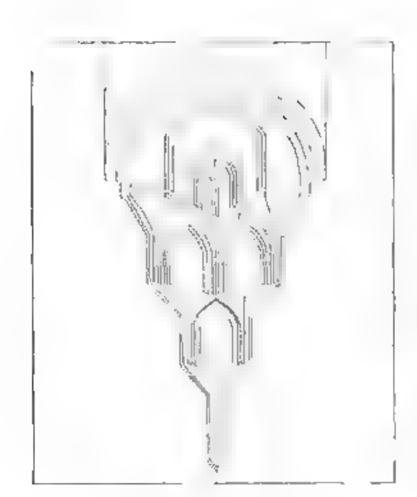
**ب ـ المقرنصات:** وهي نوع من الزخرفة الجزئية؛ أي تشكل حيزاً معيناً من المسجد، كالمحراب أو المدخل، وكانت المقرنصات بديلاً من الزوايا المثلثية الكروية، والمقرنصات من أبرز أنواع الزخارف الإسلامية؛ لأنها تتكون من حنايا صغيرة مقسومة تشبه المحاريب، يتدلى بعضها فوق بعض في طبقات وصفوف بشكل فني، تنحصر بينها أشكال مشورية مقعرة، وتنقسم المقرنصات إلى المقرنصات البسيطة، والمقرنصات المركبة من الحنايا المقوسة، والمقرنصات المركبة من الكتل المنشورية، والمقرنصات ذات الدلايات.

واستخدمت المقرنصات في القباب أيضاً على شكل حنايا تنتهي برؤوس معقودة، تزين القبة من الداخل والخارج، وتشكِّل الحنايا الخارجية انعكاساً للحنايا الداخلية، كما أن تركيب صفوف الحنايا من الداخل والخارج يكون بالمستوى ذاته؛ أي أنه يكون متطابقاً من وجهيه، الداخلي والخارجي.

المقرنصات بجامع العادلية في مدينة حلب ـ تصوير المؤلف







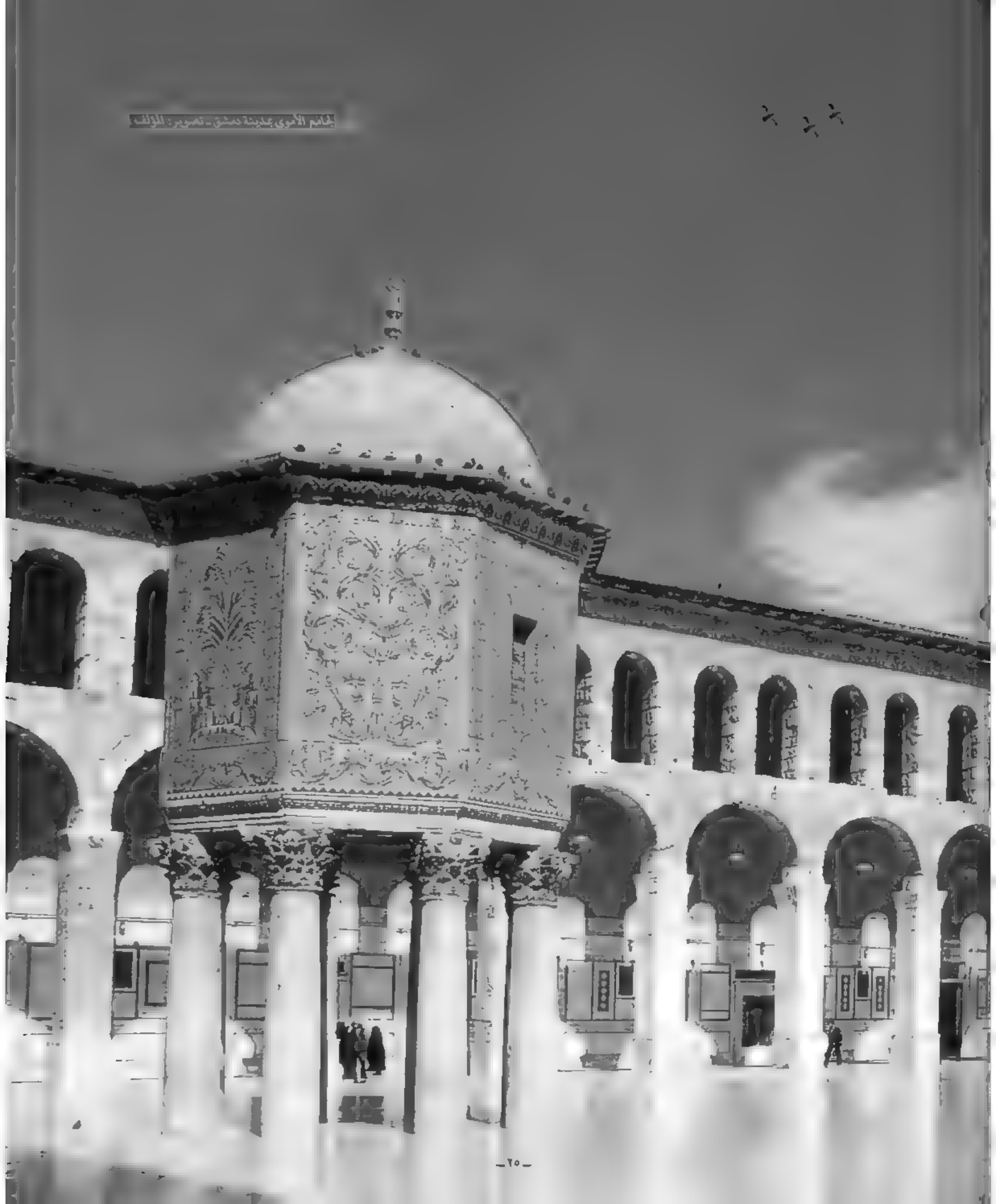
نماذج لتشكيل المقرنصات في العمارة الإسلامية



العقود ذات القطاع الدائري بالجامع الأموي في مدينة دمشق ـ تصوير المؤلف


صفحة مفقودة





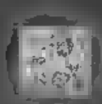
الجامع الأموي بمدينة دمشق ـ تصوير: المؤلف



الرواق الشمالي والمحمول على أعمدة مربعة (عضادات حجرية) وأعمدة اسطوانية، بمعدل عمودين بين كل عضادتين، وهذه العضادات والأعمدة تحمل أقواس وفوقها قناطر تحمل تغطية الأروقة. تصوير المؤلف.

الفصل الثاني

# تاريخ عمارة المساجد العثمانية في تركيا



# المساجد في تركيا

## تاريخ الدولة العثمانية

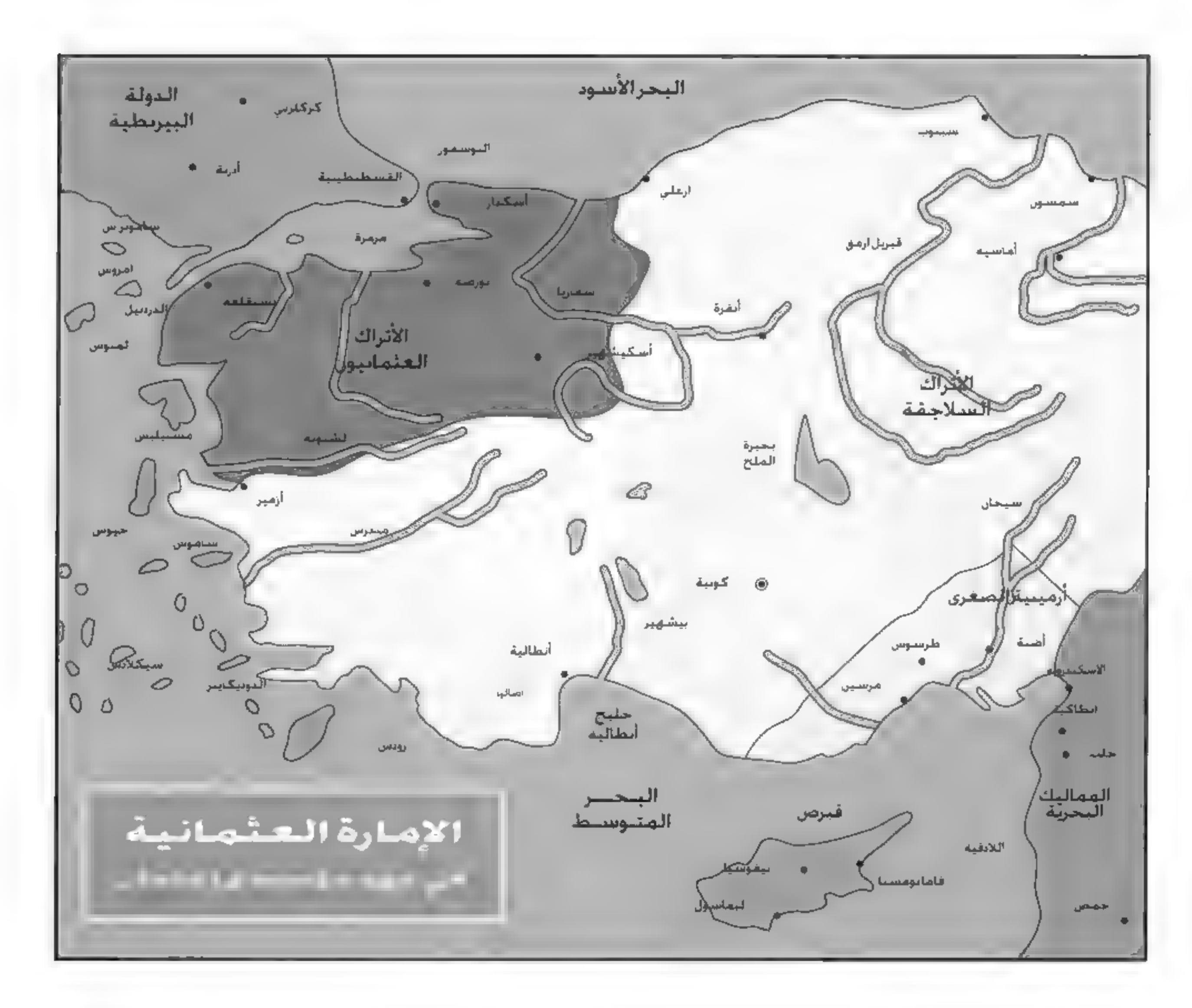
لدراسة تاريخ المساجد العثمانية ومراحل تطورها وازدهارها، لا بد أن نسلط الضوء سريعاً على تاريخ هذه الدولة، بنشأتها وتوسعها الذي دام ستة قرون، حافلة بالمعارك والفتوحات في أنحاء العالم، وهي الدولة التي كان لبعض سلاطينها، سليم وسليمان القانوني، ومحمد الفاتح، وعبد الحميد، الدور الرئيس في تغيير مجرى التاريخ عموماً، والإسلامي خصوصاً.

يعود تاريخ العثمانيين إلى قبيلة صغيرة مؤلفة من أربعة آلاف إنسان، تدعى قايي، هاجرت من آسيا الوسطى هرباً من المغول الذين كان يتزعمهم جنكيزخان، في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، ترأس هذه القبيلة كوندوز ألب، وخلفه ابنه أرطغرل والد مؤسس الدولة العثمانية الأمير القبلي عثمان.

إن الانطلاقة الحقيقية لهذه القبيلة كانت في منح سلطان قونية السلجوقي أرضاً تقع في الشمال الشرقي من تركيا حالياً، وعلى الحدود بين سلطنته والإمبراطورية البيزنطية لهذه القبيلة، تعبيراً عن شكره لهم لمساندته في محاربة جلال الدين خوارزمشاه خاقان تركستان، ثم عينَّ عثمان أميراً على قبيلته بعد وفاة والده أرطغرل عام ١٢٨١ م، رغم صغر سنه وكونه أصغر إخوته، اختاروه لذكائه وقوته وتميزه من الآخرين.

كانت مساحة الإمارة حينها (٤٨٠٠ كيلومتر مربع)، وبوفاة عثمان عام ١٣٢٦ م تسلم ابنه أورخان الحكم، بينما كان يحاصر مدينة بورصة، وفتح المدينة لتصبح عاصمة للدولة العثمانية، بل وصارت مسرحاً لآثار عثمانية لا تزال إلى يومنا.

بعد وفاة أورخان بن عثمان، تولى مراد الإمارة العثمانية عام ١٣٦٠ م، وفي العام نفسه فتح أدرنة، لتكون عاصمة الدولة العثمانية بدلاً من بورصة.

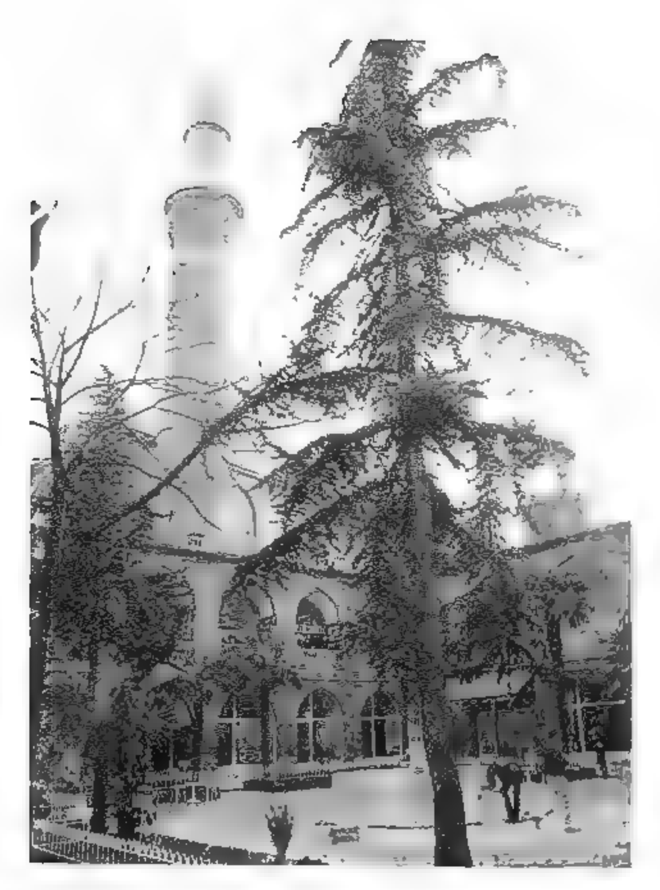



وفي عام١٣٨٩م استشهد الأمير مراد الأول غدراً على أثر طعنة بخنجر مسموم من أحد الجنود الصرب الجرحى، بعد نصره على ملك الصرب، وأمراء ألبانيا في منطقة قوصووه، ويقال إنه على أثر هذه الحادثة تحول العلم التركي إلى اللون الأحمر، وبداخله هلال ونجمة (العلم الحالي لتركيا).

ثم تولى الحكم بايزيد، ابن مراد الأول، فتحولت الإمارة إلى دولة في عهده (عام ١٣٩٦م)، وبات أول سلطان عثماني، بعد انتصاراته في أوروبا الشرقية. في تلك الفترة أرسل بايزيد إلى الخليفة العباسي في القاهرة أنباء انتصاره، فاعترف به المتوكل سلطاناً على إقليم الروم مرسلاً له تشريفاً وخليعةً، وسيفاً، تعبيراً عن اعترافه له بسلطنته.

## بداية النهضة العمرانية

منحت انتصارات السلطان بايزيد المتلاحقة الدولة الازدهار والنشاط من الناحية العمرانية، وأهم نموذج عمراني لتلك الفترة هو جامع بورصة الكبير الذي أمر السلطان بايزيد بتشييده عام ١٣٩٦ م، فالجامع مستطيل الشكل (٥٦×٥٨متر)، مقسم إلى عشرين وحدة متساوية بواسطة ١٢ دعامة، مما أطلق على هذا النوع من العمارة العثمانية اسم الوحدات المتعددة المتماثلة، وذلك نقلاً عن الدكتور ثروت عكاشة في كتابه «القيم الجمالية في العمارة الإسلامية»، أما هذه الوحدات فجميعها متساوية الشكل



مئذنة جامع بورصة الكبير - تصوير - المؤلف

المسقط الأفقي لجامع بورصة الكبير

يتم الدخول إلى الجامع من ثلاثة أبواب موزعة على جوانبه الثلاثة، لتقودنا إلى الشادروان الواقع وسط الوحدة الموجودة في الصف الثاني بعد المدخل الرئيس مباشرة لتضفي على المكان الروعة والحركة، مع تدفق مياهها من خلال ثلاثة مستويات، ينخفض مستواها بدرجتين عن الوحدات الأخرى، ويلتف حولها المصلون للوضوء، مما جعل أرضيتها رخامية، أما قبتها فمغطاة بغطاء زجاجي لتكون أشبه بالفناء الداخلي، علماً أن كلمة شادروان فارسية الأصل، ومعناها حوض الماء الذي يقام في المساجد للوضوء، أو لتزيين حدائق القصر.

للجامع مئذنتان فوق الركنين، الشمالي الشرقي، والشمالي الغربي، وقد زينت جميع جدران الجامع بآيات قرآنية مخططة بشكل فني متناظر، كما انتشر في تلك الفترة نموذج ناضج للمساجد العثمانية في بورصة، بتخطيط الحرف (T) المقلوب.



الشادروان في جامع بورصة الكبير ـ تصوير المؤلف



المنبر والمحراب في جامع بورصة الكبير - تصوير المؤلف





جامع أدرنة القديم، نموذج آخر للوحدات المتعددة، وقد شيِّد عام ١٤١٤م - تصوير المؤلف

وهناك الشكل البسيط للمساجد، وهو الشكل المربع بجدران حجرية ومداميك آجر، وتكون القبة على البناء مباشرة، وقد انتشر هذا الشكل طيلة القرون الستة للحكم العثماني لسهولة إنشائه، وسمي بالوحدة الواحدة المقببة، وكانت هذه المرحلة بمنزلة البدايات لظهور الشكل الرئيس للمساجد العثمانية التي تميزت بالبساطة مع التأثر الملحوظ بالعمارة السلجوقية.

وفي مدينة أدرنة ظهرت منشآت معمارية أقامها السلطان مراد الثاني بعد عام ١٤٣٤م، اعتمد الشكل العام لهذه المساجد على فكرة تخطيط المسجد بالحرف ( T ) المقلوب كمبنى المرادية الذي أمر ببنائه السلطان مراد عام ١٤٣٤م، فله قبتان، واحدة تلو الأخرى، وإيوان بقبة في كل جانب، أما القبة الرئيسة فتقوم على مثلثات منشورية.

استعملت البلاطات الملونة باللون الأزرق الأدكن والفاتح بكثرة في تغطية المحراب والجدران، وتحمل هذه البلاطات أشكالاً تزيينية لوريدات صغيرة وأوراق نباتية

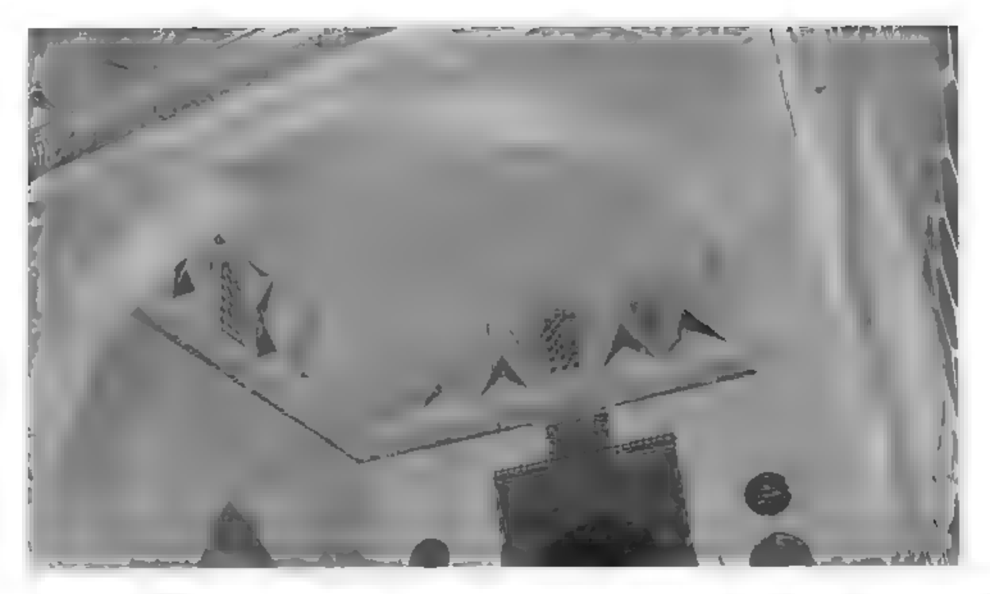


الرواق الأمامي لجامع أدرنة القديم بمدينة أدرنة ـ تصوير المؤلف

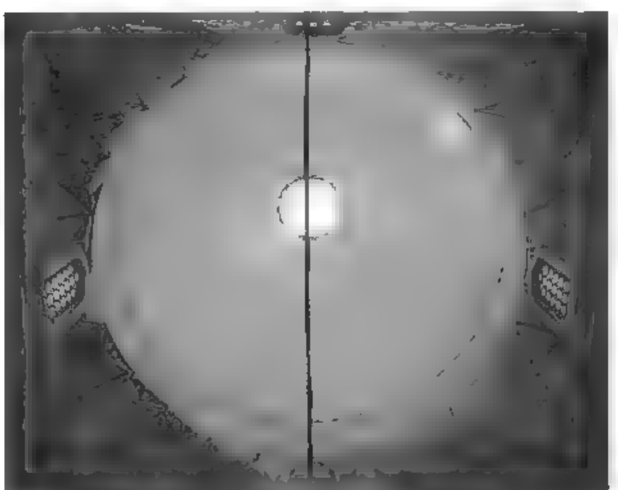
## نموذجان للمخطط ذو الحرف (T) المقلوب في مدينة بورصة:

### الجامع الأخضر:

شيد هذا الجامع عام ١٤٢٤م.



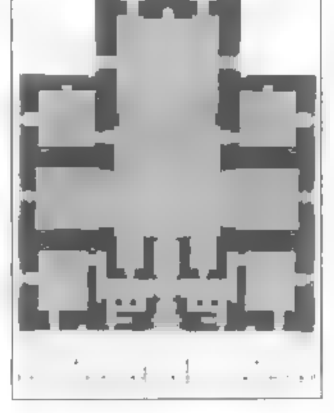
القوس الحجري الذي يعد الفصل بين القسمين في الجامع الأخضر - تصوير المؤلف

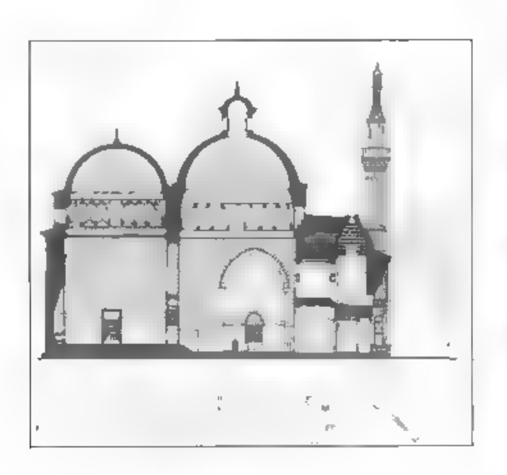


القبة ذات الفتحة المركزية في الجامع الأخضر، إذ تقوم بتوفير الضوء لداخل الجامع



صورة داخلية للجامع الأخضر - تصوير المؤلف.



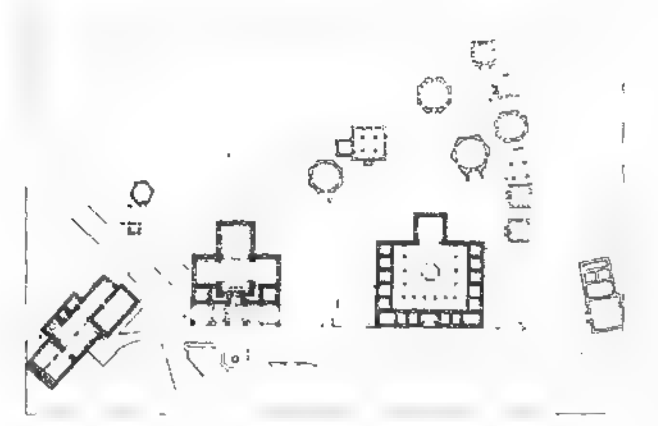


مسقط أفقي ومقطع توضيحي للجامع الأخضر

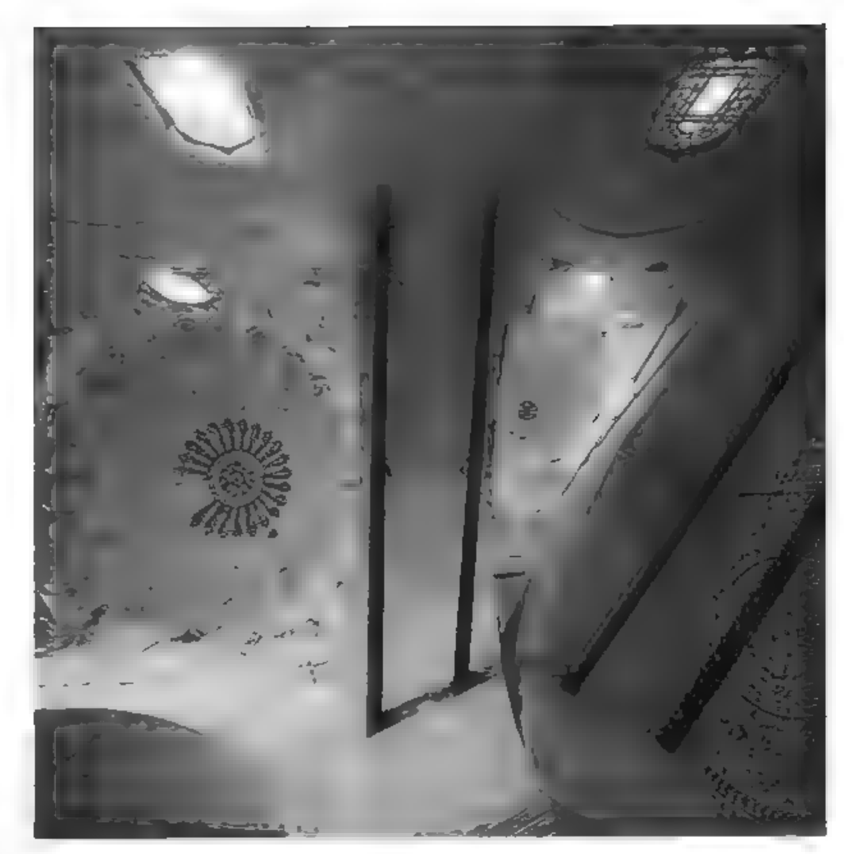
صورة داخلية لجامع المرادية بمدينة بورصة ـ تصوير المؤلف

## الكلية المرادية:

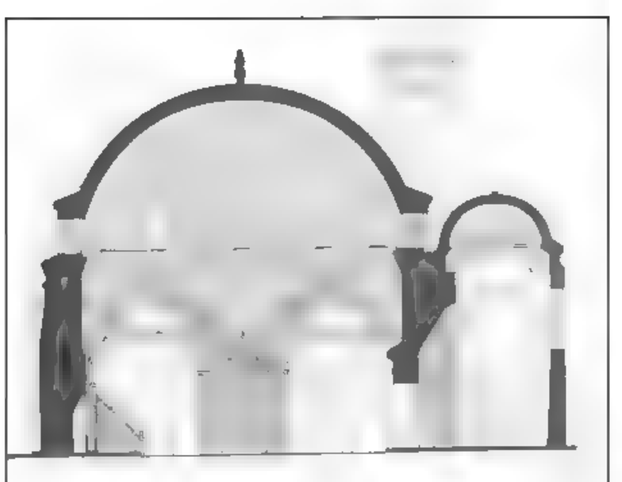
وتضم عدداً من المباني، منها جامع المرادية الذي شيد عام ١٤٣٤م.



المسقط الأفقي لكلية المرادية بمدينة بورصة



المثلث الناتج من ارتكاز القبة على العمود المتوسط للقبتين الجانبيتين



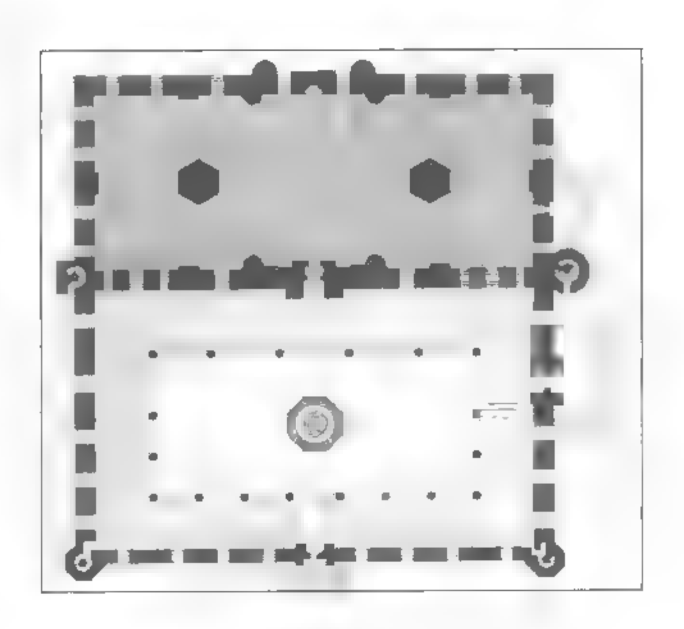
مقطع طولي لجامع أوج شرفلي بمدينة أدرنة

## جامع أوج شرفلي

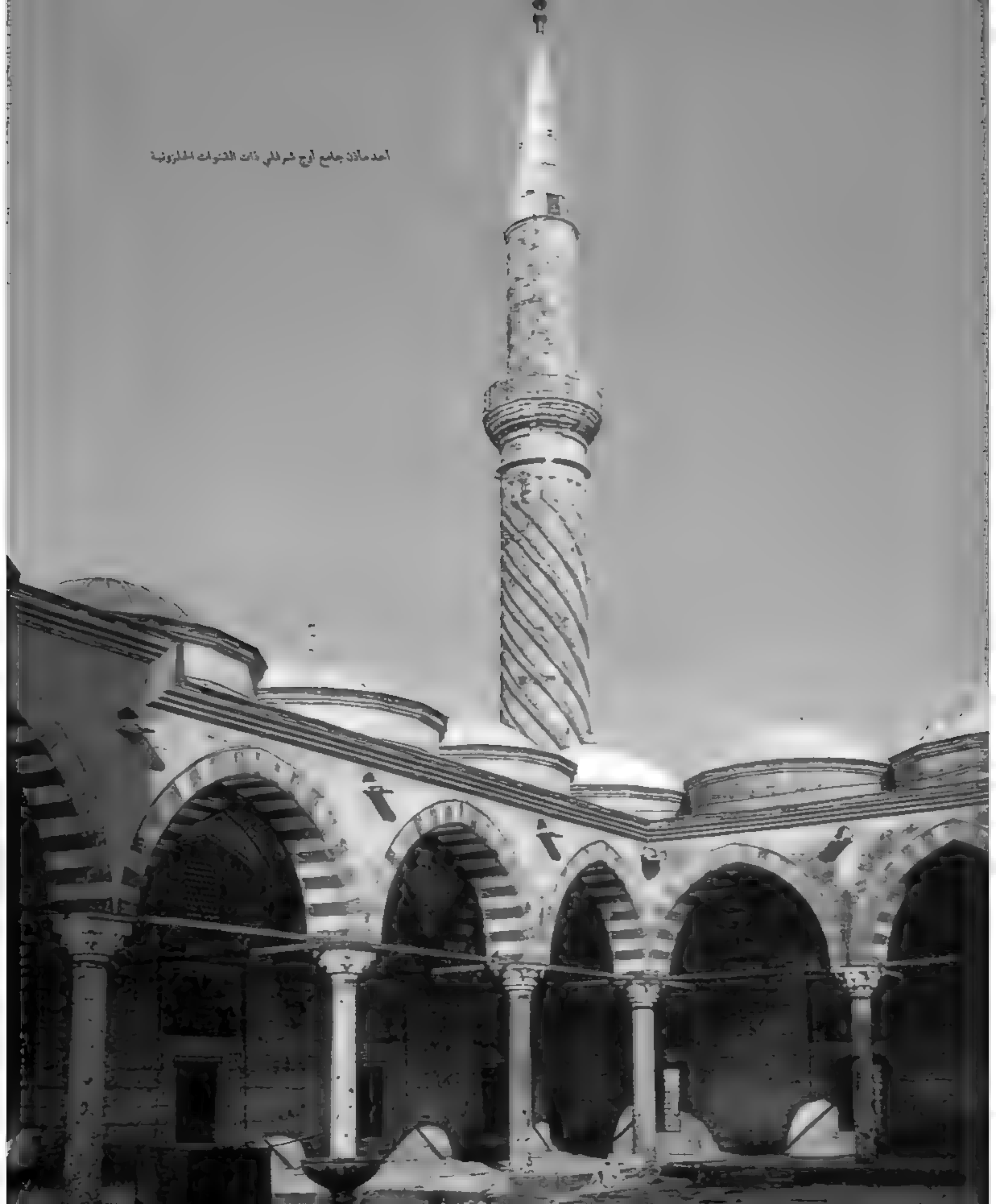
في عام ١٤٤٧م تم الانتهاء من إنشاء جامع أوج شرفلي (معناه الشرفات الثلاث)، وسمي بهذا الاسم؛ لأن مآذنه الأربع لها ثلاث شرفات، وارتفاعها ٧٥و٦٧متراً، وهو أعلى ارتفاع تصل إليه العمارة العثمانية في بناء المآذن لتلك الفترة.

يُعَد جامع أوج شرفلي نموذجاً مهماً وجديداً بشكل مخططه العام، إذ ظهرت قبة رئيسة ضخمة قطرها ١٠,٢٤متراً، مرتكزة على دعامات سداسية الأضلاع وبعقود مدببة، وأضيفت قبتان في كل جانب للقبة، قطر الواحدة منها ٥٠,١٠ أمتاراً، لتزيد من المساحة، وظهر أيضاً صحن الجامع بشكله المستطيلي وحوله البوائك، وفي وسطه الشادروان.

تعددت أساليب عمارة مآذنه الأربع الموزعة في أركان الصحن، فالأولى ذات قنوات حلزونية، والثانية ذات قنوات عمودية، والثالثة لها أشكال مَعيّنات، أما الرابعة فلها ثلاث شرفات للمؤذن، وبداخل المئذنة سلم مستقل إلى كل مطاف.



المسقط الأفقي لجامع أوج شرفلي بمدينة أدرنة



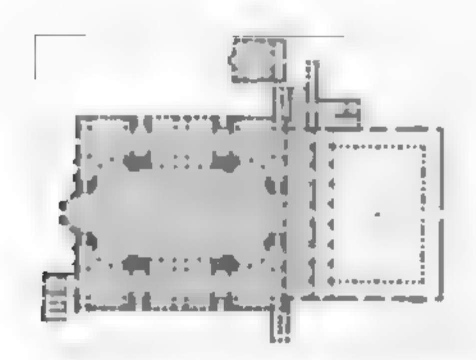
أحد مآذن جامع أوج شرفلي ذات القنوات الحلزونية



قبة أياصوفيا من الداخل وعلى جانبيها أنصاف قباب

## الطابع البيزنطي في المرحلة الانتقالية

فتحت صفحة وضاءة مشرقة في تاريخ الدولة العثمانية، بل في تاريخ العالم الإسلامي بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م على يد السلطان محمد الفاتح، بعد استعدادات عثمانية من التخطيط والتحضير دامت أعواماً على الرغم من محاولات سابقة للخلفاء العرب والعثمانيين في محاصرتها، بعدما بشّر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح، قائلاً: ( لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)، ونذكر من أهم الصحابة الكرام أبا أيوب الأنصاري، الذي توفي وهو يحاول فتح القسطنطينية، وقد دفن هناك. وبدخول السلطان محمد الفاتح توجه إلى كنيسة أيا صوفيا مصلياً، ومعلناً تحويل هذه الكنيسة إلى جامع تقام فيه الصلاة، وتم إنشاء أربع مآذن على زوايا الجامع خلال فترات زمنية متفرقة.

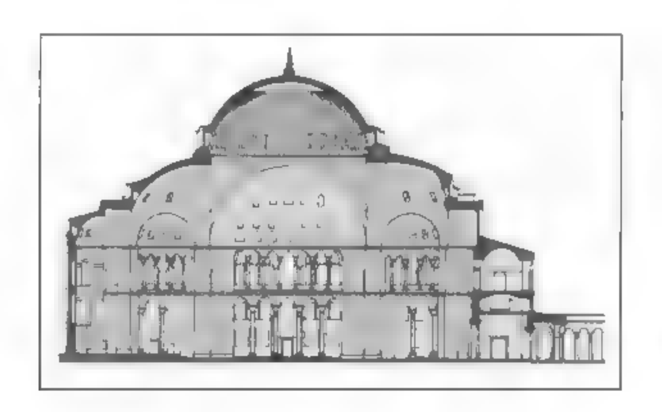


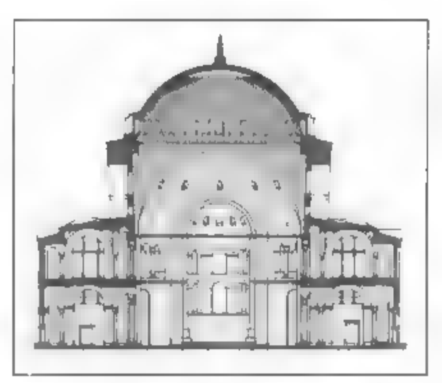
المسقط الأفقي لأياصوفيا، مصدر الهام المعمار العثماني

وتأثرت عمارة المساجد العثمانية بشكل هذه الكنيسة ذات الطابع البيزنطي لقبتها الضخمة، وارتفاعها الشاهق، إذ يبلغ قطر قبتها (٣,٩ أمتار) وارتفاعها (٥٥,٩٢ متراً) من الأرض إلى عقدة القبة.

فاقتبس العثمانيون طريقة السقف بالقباب البيزنطية للحصول على مساحات واسعة في بيت الصلاة، وبلغ عدد المساجد التي بنيت في فترة حكم السلطان محمد الفاتح التي دامت ثلاثين عاماً نحو ٣٠٠ مسجد، بالإضافة إلى المدارس والقصور والحصون والقلاع

لقطة خارجية لأياصوفيا بمدينة إستانبول - تصوير المؤلف

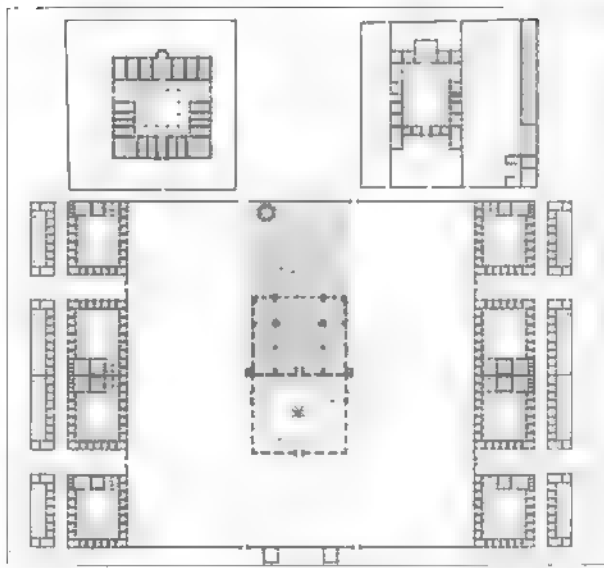




مقطع طولي وعرضي
لأياصوفيا

# جامع الفاتح

شيّد الجامع بأمر من السلطان محمد الفاتح عام ١٤٦٣ م، ويعدّ أول جامع يقام في مدينة إستانبول، ضمن مجمع الفاتح. تتميز قاعة الصلاة بشكلها المستطيل، والمؤلفة من ثلاث بلاطات: الوسطى واسعة تعادل ضعف سعة البلاطتين الجانبيتين، وتتكون من قطاع مربع مسقوف بنصف قبة كبيرة، وإيوان في الجنوب مستطيل مسقوف بنصف قبة. وفي البلاطتين الجانبيتين ثلاث قباب صغيرة في كل منهما. أما عن القبة الرئيسة فيبلغ قطرها ٢٦ متراً، وكانت أكبر قبة في ذلك الحين، علماً أن هذا التصميم يعدّ مرحلة جديدة في عمارة المساجد العثمانية. وقد شهدت مدينة إستانبول في عام ١٧٦٥ م، زلزالاً شديداً، أدى إلى تهدم قبة الجامع، فقام السلطان مصطفى الثالث بتشييد قبة جديدة، وفق مخطط مختلف، يعتمد على القبة المركزية، وأربعة من أنصاف القباب.



المسقط الأفقي لمجمع الفاتح

ضريح محمد الفاتح - تصوير المؤلف



قاعة الصلاة في جامع الفاتح - تصوير: المؤلف





قبة جامع الفاتح من الداخل - تصوير المؤلف

# جامع بايزيد

استحدثت العمارة العثمانية فناً خاصاً بهامع منتصف القرن الرابع عشر، وخصوصاً في عهد بايزيد الثاني الذي امتد حكمه من عام ١٤٨١م إلى عام ١٥١٢م، ففي عام ١٥٠١م أمر بإنشاء جامع يحمل اسمه في مدينة إستانبول، وقام المعمار خير الدين بتشييد الجامع الذي انتهى عام ١٥٠٦م، مستغنياً عن الأعمدة التي كانت موجودة في المساجد العثمانية السابقة؛ لأنها كانت سبباً في إعاقة صفوف المصلين أو في رؤية الخطيب، وحقق ذلك بإنشاء قبة مركزية مرتكزة على خناصر متدلية فوق أربع دعائم، ويتوسط كل اثنتين منها عمودان من حجر اليورفير على جانبي القبة من الشمال والجنوب الوحدتان متساويتان، مساحة كل منهما نصف مساحة الوحدة المركزية.

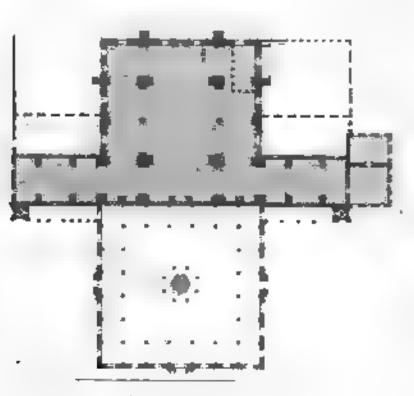
ويعلو كل وحدة جانبية نصف قبة، وفي جهتي الشرق والغرب جناحان، سقف كل واحد منهما بأربع قباب صغيرة، ولهذا السبب سمي هذا النوع من المساجد بالوحدات المتعددة وغير المتماثلة، لفناء الجامع أربع وعشرين باكية، ولكل باكية قبة كروية، ويتوسط الفناء أو صحن الجامع الشادروان. وبهذا صار الشادروان عنصراً مهماً وثابتاً في عمارة المساجد العثمانية، وعنصراً جمالياً بشكله المتناسب مع حجم الجامع عموماً ومساحة صحن الجامع خصوصاً.

لجامع بايزيد مئذنتان على طرفيه، وله ثلاثة مداخل، اثنان جانبيان يتم الدخول من خلالهما للقبلية مباشرة، ومدخل رئيس منفتح على صحن الجامع، وحظيت جميع جدرانه وقببه من الداخل بتزيينات هندسية ونباتية وكتابات قرآنية

المدخل الرئيس لجامع بايزيد، والمنفتح نحو صحن الجامع ـ تصوير: المؤلف

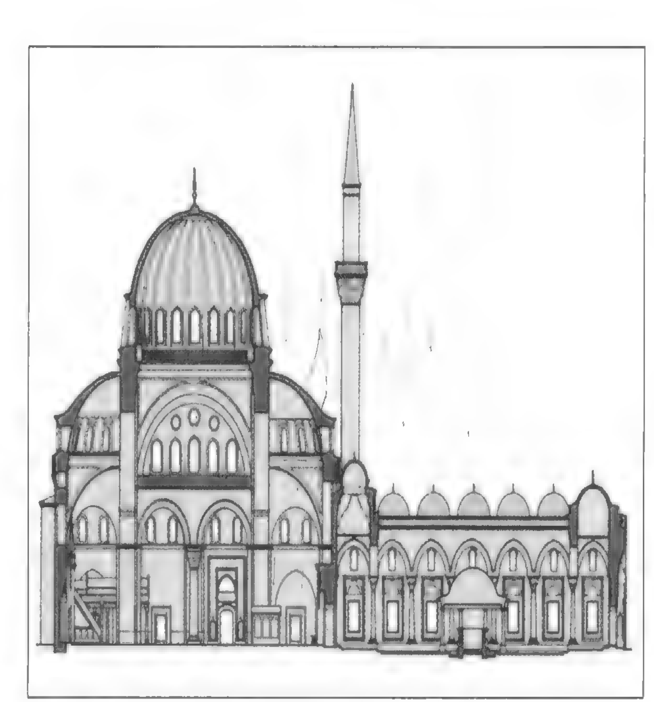


الشادروان يتوسط صحن جامع بايزيد ـ تصوير: المؤلف



المسقط الأفقي لجامع بايزيد

القوس الذي يربط القبة المركزية بنصف القبة الملاصقة بها.



مقطع طولي لجامع بايزيد.



لقطة داخلية لجامع بايزيد بمدينة استنبول ـ تصوير: المؤلف.




# المعمار سنان

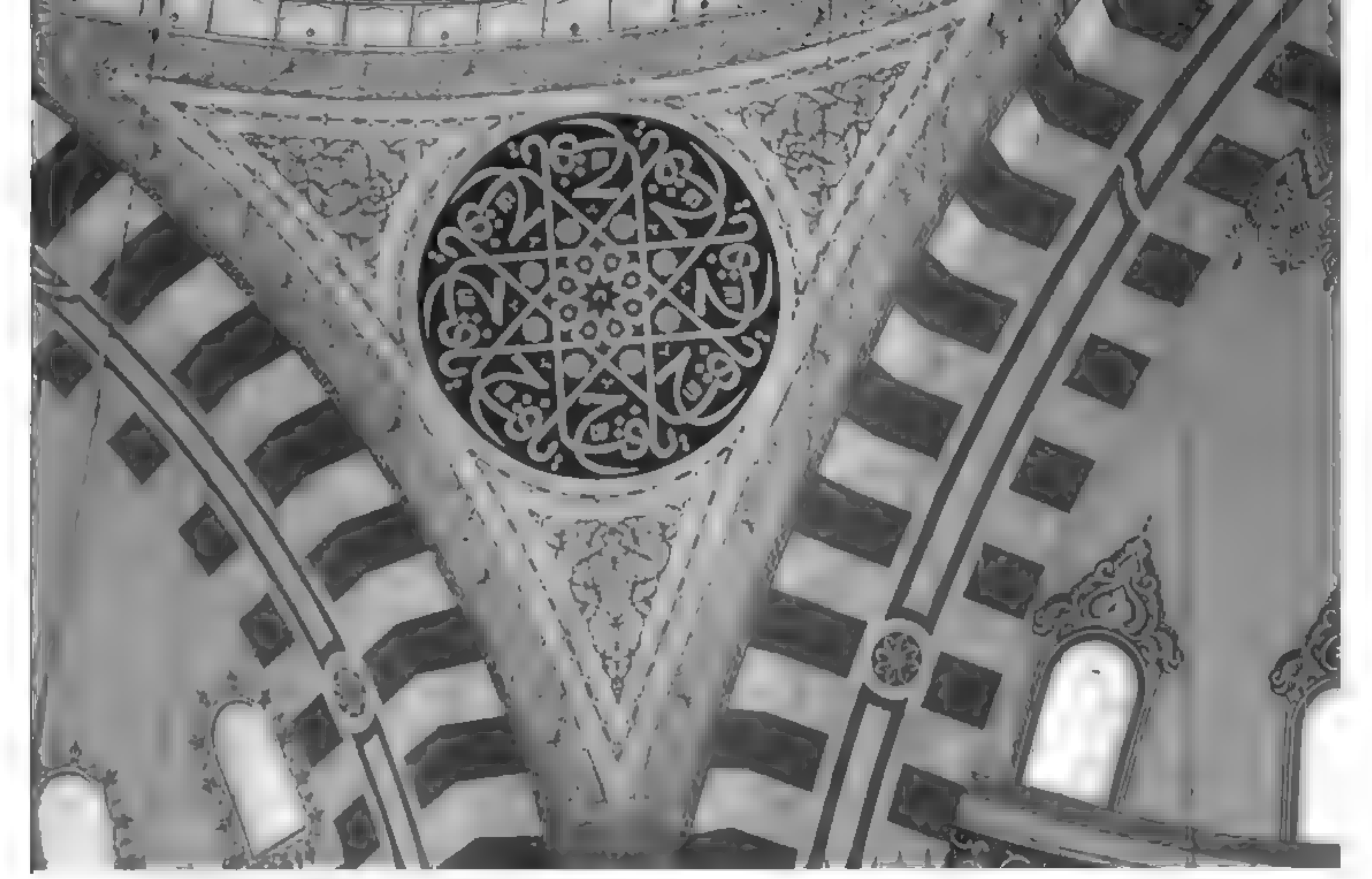
تولى السلطان سليم الأول الحكم عام١٥١٢ م بعد أن اعتزل والده العرش. وخاض السلطان سليم عدة معارك مهمة، مما جعل فترة حكمه التي دامت ثماني سنوات مملوءة بالحروب والمعارك، وخالية من أي نشاط معماري، ففي عام ١٥١٤ م انتصر على الشاه الصفوي إسماعيل في موقعة جالديران ليدخل مدينة تبريز عاصمة إيران، ثم حارب المماليك بقيادة قانصوه الغوري على مشارف مدينة حلب ١٥١٦ م ليقتل قانصوه منتصراً، ودخل حلب ثم دمشق واصلاً لمسجد الصخرة بالقدس مصلياً هناك، منتقلاً إلى القاهرة ليتسلم مفاتيح مكة والمدينة.

في فترة تولي السلطان سليم، كان هناك شاب يدعى سنان مرافق ومشارك في الحروب العثمانية، متنقل بين الشرق والغرب، مما أثرى لديه الروح الفنية، وتعرف العمارة الصفوية والفن الإيراني، ودخل سورية متعرفاً العمارة الأموية، والعمارة المملوكية في مصر.

تخرج سنان في مدرسة عجمي أوغلانار، وصار انكشارياً فنياً في فترة وفاة السلطان سليم عام ١٥٢٠م، ليرتقي ابنه سليمان القانوني الحكم في البلاد، وتابع سنان تنقلاته ومشاركاته للجيش العثماني في فتحه لأوروبا وانتصاراته؛ لأنه أحب السفر والتجوال في بقاع العالم، وفي كل زيارة لأي بلد عربي أو دولة أجنبية يزداد تعمقاً ونضجاً في دراسة الأشكال المعمارية بنماذجها المختلفة التي تحمل الهوية المعمارية للعهد الذي أنشئت فيه، إلى أن عيّن عام ١٥٣٤م بمنصب كبير المعماريين، وكان عمره آنذاك خمسين سنة.

توزعت أعمال سنان في أرجاء الدولة العثمانية، ففي عالمنا العربي بنى أول أثر له، وهو مدرسة الخسروية في مدينة حلب عام ١٥٣٦ - ١٥٣٧م، وفي مدينة دمشق بنى التكية السليمانية عام ١٥٧٧م، وقام بترميم قباب الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة، وله عدة آثار في المدينة المنورة والقدس والبصرة.

أما أهم أعمال سنان وأشدها ضخامة في تركيا، فله ثلاث جوامع بكلياتها هي: جامع شهزاده (١٥٤٨م)، وجامع السليمانية (١٥٥٧م) في مدينة إستانبول، وجامع السليمية (١٥٧٤م) في مدينة أدرنة.



استخدام الكتابات القرآنية بين الأقواس في جامع شهزاده ـ تصوير: المؤلف.

## جامع شهزاده

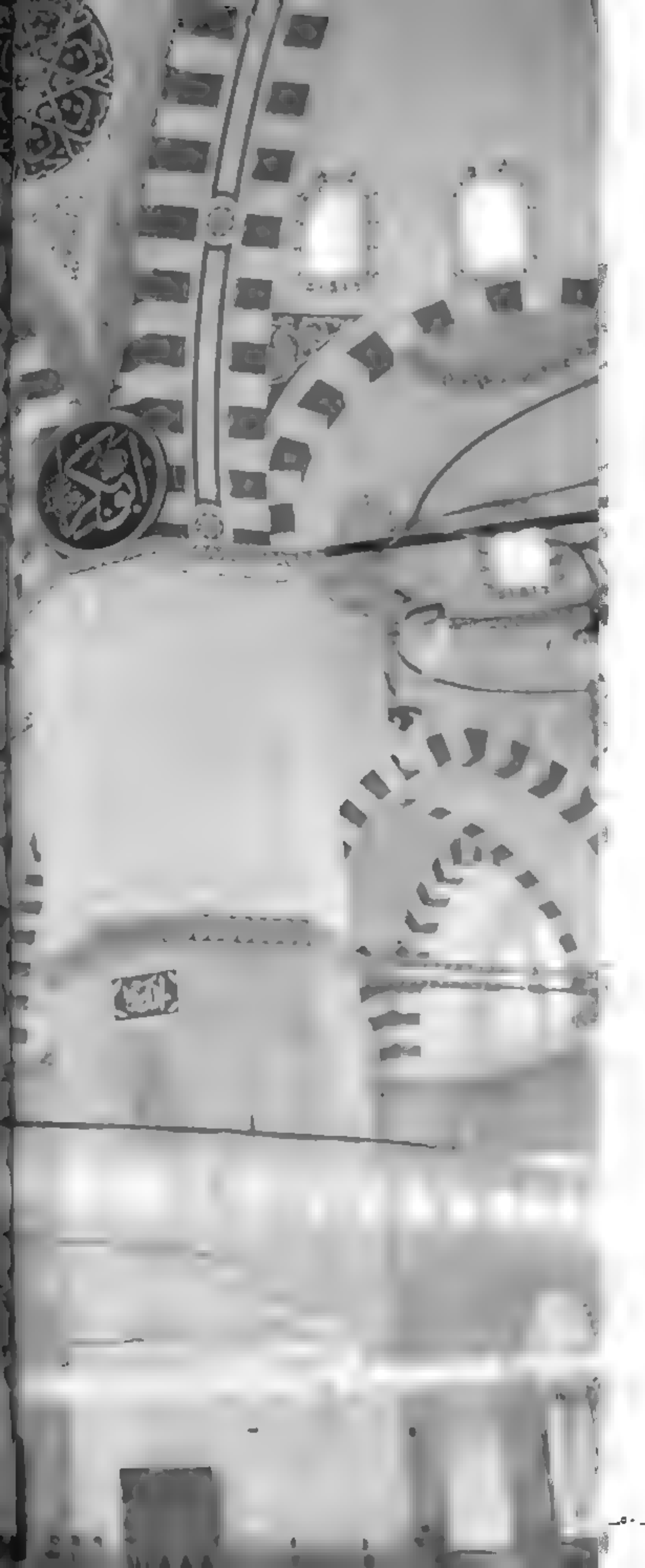
تخليداً لذكرى وفاة الابن الأكبر للسلطان سليمان القانوني، شهزاده محمد عن عمر يناهز الواحد والعشرين، أمر المعماري سنان ببناء جامع شهزاده بمدينة إستانبول، علماً أن كلمة شهزاده تطلق على ابن السلطان. تم البدء بتشييد الجامع عام١٥٤٤ م، مستغرقاً أربع سنوات.

وكان عمر سنان آنذاك ٥٤ عاماً، ونقلاً عن كتاب فنون الترك وعمائرهم الصادر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، في وصف سنان لجامع شهزاده بأنه أحد أعمال فترة تلمذته، فنرى فيه المحاولة الأولى لسنان في معالجة مشكلة نصف القبة، التي وجدها في قباب أياصوفيا وبايزيد، عندما ابتكر النموذج المثالي للمبنى ذي القبة المركزية وأنصاف القباب الأربعة الدائرة حولها.

بعد أن اعتمد على أسلوب جديد بالكامل جعله يقيم منشآت معمارية ضخمة ورائعة بأسلوب خاص به هو

مساحة الجامع يبلغ طول ضلعها ٣٨ متراً، مغطاة بقبة قطرها ١٩ متراً، تعتمد على أربع دعائم، ومن حول هذه القبة أربعة أنصاف قباب، ثم قبة صغيرة في كل ركن من أركان حرم الجامع، أما ارتفاع قمة القبة الرئيسة عن سطح الأرض فيبلغ ٣٧ متراً، وبلغت المسافة بين كل دعامة والتي تليها ١٦٫٥٢ متراً. وقد زيد في امتداد أنصاف القباب الأربعة بإضافة حنية ركنية على جانبي كل نصف قبة.

يتوسط صحن الجامع الشادروان، ويقع على محيط الصحن البوائك وقبابها الست عشرة، إضافة إلى أعمدة البوائك الاثني عشر، لتكوّن توليفة لا تقل في تناسقها وانسجامها عن تناسق الجامع وانسجامه، كما أنها تندمج معه عضوياً، وتكوّن وحدة لها منظور معماري قوي التأثير، إضافة إلى التي استخدمت في تحويل الممرات من داخل المسجد إلى خارجه، أضفى على الداخل مزيداً من الترابط والروحانية، ولطّف من جمود الكتلة البنائية من الخارج.



وبدلاً من عمل عدد من الأبراج الصغيرة تدور حول القبة ـ كما هو الحال في جامع بايزيد ـ فقد اكتفى بتعطية رؤوس دعائم القبة الأربع من الخارج بقباب مضلعة على هيئة أبراج أكسبت الجامع مظهراً أشد قوة.

لجامع مئذنتان تقعان عند ركنيه المجاوران للصحن، ولكل مئذنة مطافان للمؤذن، وترتفع الواحدة بمقدار ٤١,٥٠ متراً، وتظهر حوائط الجامع من الخارج وكأن الواحدة منها تلي التي خلفها، وترتكز على قمتها، حتى لتبدو هيئة الجامع وكأنها هرم مدرج.

بني قبل الجامع ضريح شهزاده محمد، ومن ثم تم بناء الجامع ضمن مجمع يحتوي على مدرسة ودار الضيافة ودار المرق، وّزعت عناصر المجمّع بشكل منسق، فقد خصص مكان الأصرحة خلف جدار القبلة، أما باقي الأبنية فمرتبة في الجانب الشرقي من الفناء الخارجي.

لقطة داخلية لجامع شهزاده ـ تصوير. المؤلف.





# جامع السليمانية

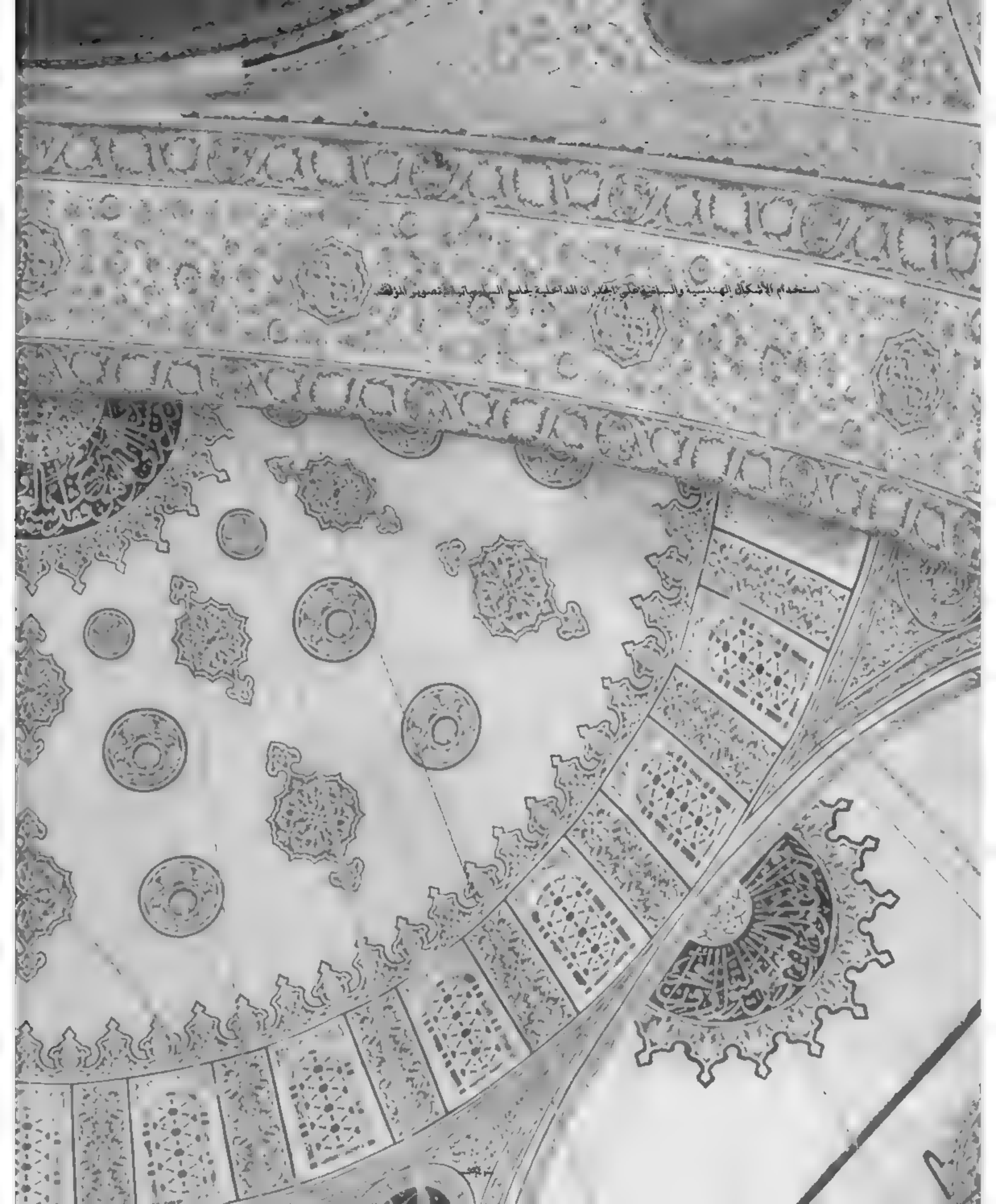
قام المعماري سنان عام ١٥٥٠ م، بإنشاء جامع السليمانية ضمن مجمّع السليمانية الكبير، في مدينة إستانبول، بطلب من سليمان القانوني، وحاول سنان جاهداً في أن يقدم تصميماً جديداً وجريئاً من حيث النسب والأسلوب، وبمفهوم واع لنظريات البناء، خاصة بعد أن تجاوز الستين من عمره، وبعد قيامه بتشييد عدد من الجوامع، ودراسته المتأنية والدقيقه للأسلوب الذي شيدت عليه كنيسة أياصوفيا وجامع بيازيد، ليحقق نجاحاً جديداً في عمارة المساجد، وليكسب رضاء السلطان سليمان القانوني، فقام سنان باختيار موقع مرتفع وعلى ربوة مشرفة على القرن الذهبي، ليتحول مجمع السليمانية إلى أكبر وأول جامعة منذ زمن محمد الفاتح، وقد استغرق تشييد المجمّع سبع سنوات.

يبلغ قطر القبة الرئيسة ٢٦,٥ متراً، وارتفاعها ٥٣ متراً، وهي أكثر القباب ارتفاعاً بعد أياصوفيا. ترتكز القبة على أربع دعامات ضخمة، ولزيادة اتساعها من ناحيتي المدخل والقبلة أضيف لهما نصفا قبة من كل ناحية بارتفاع ٤٠ متراً، ثم وسعت هاتان المنطقتان بحنيات ركنية إضافية، أما المساحتان الموجودتان إلى اليمين واليسار فقد غطيت كل منهما بخمس قباب، وبدلاً من الرتابة التي قد تنجم عن استخدام قباب صغيرة متماثلة، فقد عمد سنان إلى ابتكار جذاب غير مألوف يتلخص في تبادل بين قبة صغيره وأخرى كبيرة حسب المساحة، التي تغطيها القبة، وكانت القبة التي تتوسط الخمس هي الأكبر وتتعادل في اتساعها مع القبة الركنية. وبهذا يكون قد تم نوع من التكامل بين منطقة وسط المسجد وبين منطقة البلاطات الجانبية ويشعر الداخل إلى القبلية بالطمأنينة الروحية، وبإحساس باللانهائية، وذلك ناتج عن ارتفاع القبة الشاهق، إضافة إلى الإبداعات والزخارف الخزفية التي تكسو حائط القبلة. وقد حقق سنان تصوره بأن يقوم الجامع كوحدة مستقلة لها فناء ذو بوائك وشادروان، وأن يعكس تخطيطه الداخلي مظهره من الخارج.

للجامع أربع مآذن في الأركان الأربعة للفناء، ويضم الفراغ الموجود خلف جدار القبلة ساحة للدفن، بها الضريح المثمن الأضلاع الخاص بالسلطان سليمان القانوني وزوجته خاصكي خرّم، ويحيط بالجامع ١٨ مبنى، هي مجموعة من المدارس، والتكية، والمستشفى، والحمام.

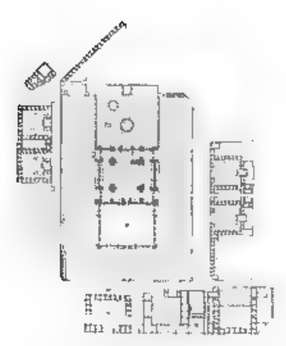


جامع السليمانية بمدينة إستانبول ويحيط به مجموعة من المباني التابعة للمجمع

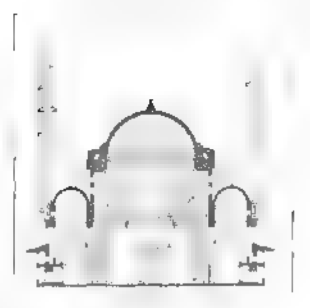


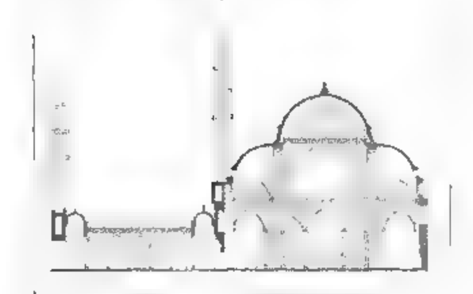
استخدام الأشكال الهندسية والنباتية على الجدران الداخلية لجامع السليمانية (تصوير المؤلف)



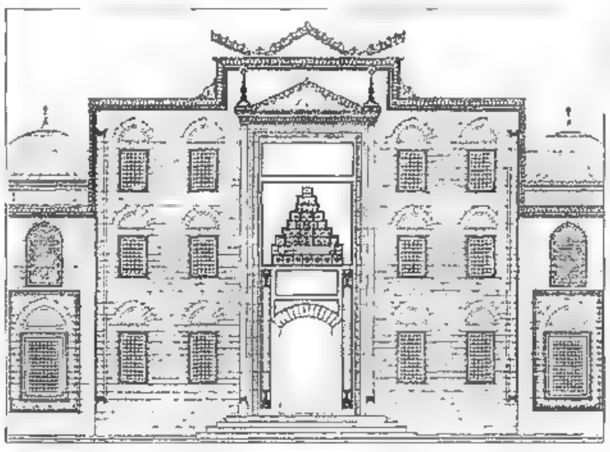


المسقط الأفقي لمجمع السليمانية





مقطعين عرضي وطولي لجامع السليمانية





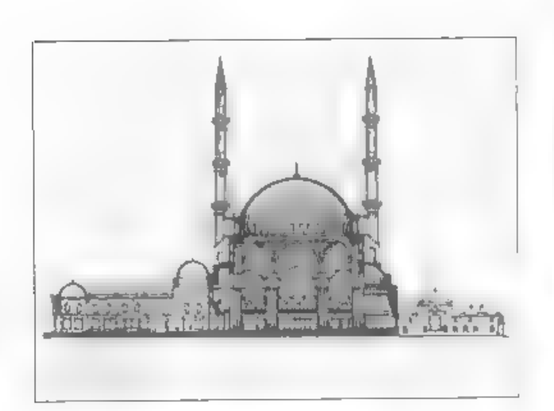
الواجهة الجانبية لجامع السليمانية ـ تصوير المؤلف

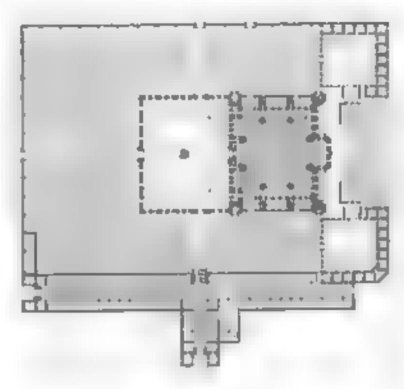
# جامع السليمية

بنى هذا الجامع عن عمر يناهز الثمانين، ولهذا نلاحظ نضج فنه وابتكاراته لتتحول إلى رائعة معمارية استغرقت خمس سنوات من الإنشاء، فعندما أمره السلطان سليم الثاني بإنشاء الجامع، قام سنان باختيار المكان المرتفع المناسب لهذا الصرح المعماري على أعلى ربوة في مدينة أدرنة، بحيث يمكننا رؤيته من جميع أنحاء المدينة، بقبته الضخمة ذات القطر (٣١,٥متراً) التي فاقت قبة أياصوفيا، محققاً بذلك حلماً راقه، وأقض مضجعه سنوات طويلة.

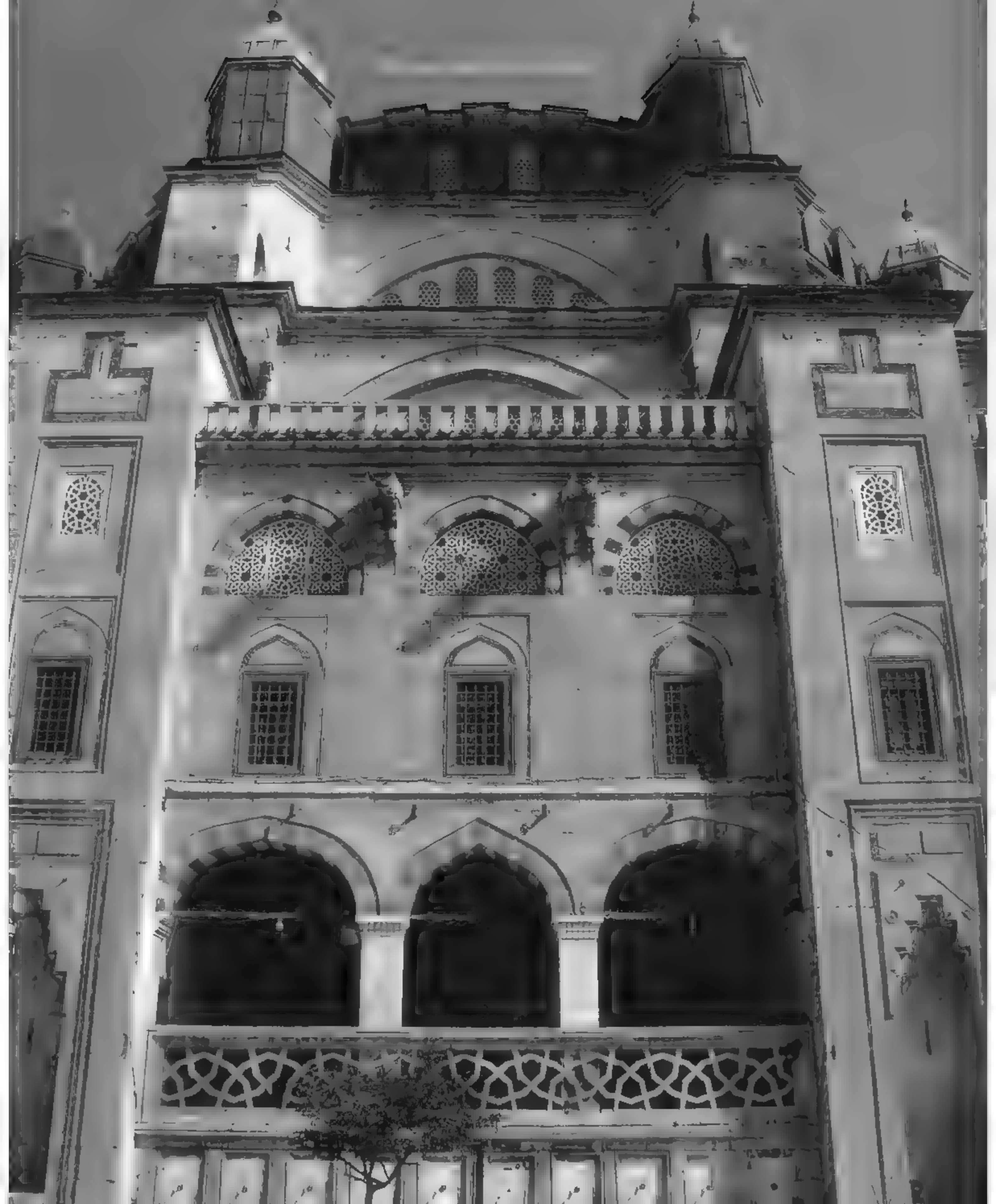
فنقلاً عن كتاب (فنون الترك وعمائرهم) الصادر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول الذي قام بتأليفه (أوقطاي أصلان آبا، وترجمه أحمد محمد عيسى). أنه ورد في (تذكرة البنيان) التي يقال: إنها من إملاء المعمار (سنان): (وإذا كان قد شاع بين المهندسين المسيحيين القول بتفوقهم على المسلمين؛ لأنه لم تقم في العالم الإسلامي كله قبة تصارع أو تنافس قبة أياصوفيا، فقد حزّ في نفسي كثيراً أن يقال إن بناء قبة بمثل ضخامة أياصوفيا، ربما يكون من الأعمال العسيرة، ولهذا قررت- مستعيناً بالله- إقامة هذا المسجد في عهد السلطان سليم خان جاعلاً قبته أوسع من أياصوفيا بمقدار ستة أذرع، وأعمق منها بمقدار أربعة أذرع).

جامع السليمية بمدينة أدرنة، ويظهر أمامه تمثال المعمار سنان- تصوير: المؤلف



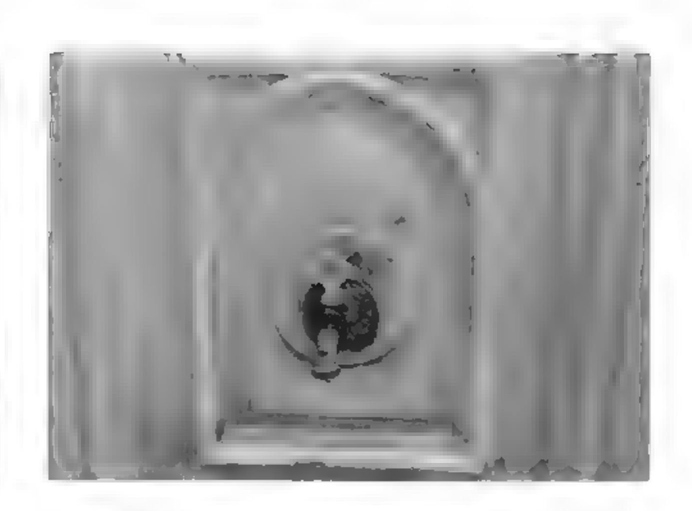


المسقط الأفقي ومقطع طولي لجامع السليمية





نافورة الماء الواقعة أسفل محمل السلطان ـ تصوير: المؤلف



الشادروان الرخامي في صحن الجامع - تصوير - المؤلف

استغنى المعماري سنان عن أنصاف القباب التي استخدمها من قبل في جامعي شاه زاده والسليمانية، وارتكزت القبة إلى قاعدة مثمنة محمولة على ثماني دعامات قوية، وهذا ما نلاحظه في القبلية، من رحابة في المكان وارتفاع في القبة.

أما مآذن جامع السليمية الأربع السامقة فتطل على مدينة أدرنة بارتفاعها الرشيق، حيث يبلغ ارتفاع كل مئذنة (٨٠و ٧٠متراً)، ولكل مئذنة ثلاث شرفات، يتم الصعود إليها عن طريق ثلاثة سلالم مستقلة، مع هذه الرحابة والعظمة في إنشاء القبة والمآذن حظي الجامع من الداخل بالعناية في محرابه البالغ عمقه ستة أمتار، وبقبة بارتفاع منخفض، وبمنبره المنحوت من قطعة حجرية واحدة، ليكون شاهداً على براعة الصناع في تلك الفترة، بالإضافة إلى البلاطات الخزفية التي تغطي جدران القبلية، ومحفل السلطان الواقع شمال المحراب، ويوجد أسفله نافورة صغيرة لشرب الماء، وزينت القبة بالكتابات القرآنية التي قام بها المولوي حسن بن قره حصاري. وتحيط بصحن الجامع البوائك المغطاة بالقبب، وفي وسطه الشادروان الرخامي، وبهذا يعد جامع السليمية عملاً متكاملاً من جميع النواحي الإنشائية والمعمارية والفنية والجمالية.

في عام ١٥٨٨م رحل المعماري الشهير سنان عن عمر يقارب المئة، بعد أن قام بعمل ضريح متواضع لنفسه تعلوه قبة صغيرة، وبعد أن عاصر خمسة سلاطين، هم: بايزيد الثاني، وسليم الأول، وسليمان القانوني، وسليم الثاني، ومراد الثالث. مخلداً أعمالاً منتشرة في العالم الإسلامي، كانت مصدر إلهام لتلامذته الذين ساروا على نهجه حتى الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي.



المكان الذي يرقد فيه المعماري سنان وبجانبه سبيل ماء - تصوير - المؤلف

# جامع السلطان أحمد

من النماذج المهمة التي أنشئت بأسلوب المعماري سنان جامع السلطان أحمد الشهير، أو الجامع الأزرق في مدينة إستنبول، الواقع أمام جامع أياصوفيا، ليرتفع بمآذنه الست وبقبته الضخمة التي يحيط بها نصفا قبة أصغر حجماً، اكتمل إنشاء هذا الجامع في عام ١٦١٧م، وأمر بإنشائه السلطان أحمد، ليكون استمراراً للمنهج المعماري التركي الذي اتخذه المعمار سنان.

سمي هذا الجامع بالأزرق؛ لأن جدرانه الداخلية مغطاة ببلاطات خزفية ملونة بالأزرق القاتم والفاتح، وبأشكال هندسية ونباتية رائعة من أعمال الفنان الصدّاف محمد اغا، وتبلغ مساحة هذا المسجد (٦٤×٧٢ متراً)، وقطر قبته (٢٣,٥متراً)، حيث ترتكز القبة على أربع دعائم إسطوانية، وقطر كل واحدة منها خمسة أمتار، وللجامع سور مرتفع يحيط به من جهاته الثلاث، وله خمسة مداخل: اثنان منها يؤديان إلى القبلة مباشرة، وثلاث مداخل تؤدي إلى صحن الجامع الواسع الذي يتوسطه الشادروان، ليكون مركز تجمع المصلين قبل أدائهم الصلاة، وتحيط بصحن الجامع الأروقة المحمولة على ستة وعشرين عموداً من الغرانيت، والمسقوفة بقبب نصف كروية يبلغ عددها ثلاثين قبة.

جامع السلطان أحمد بمدينة استانبول- تصوير المؤلف

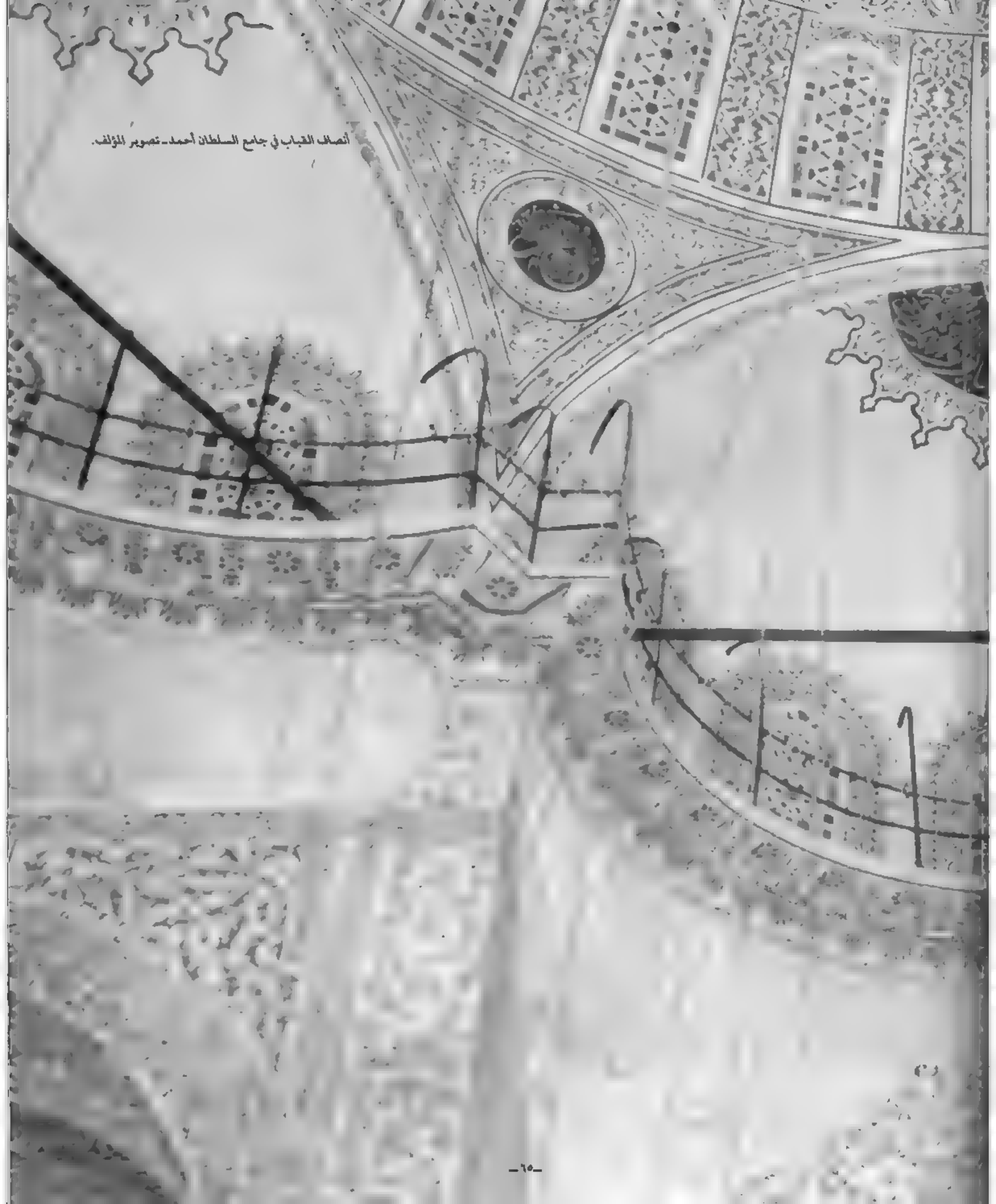


جامع السلطان أحمد من الداخل ـ تصوير. المؤلف



أحد الأبواب المؤدية إلى الدور العلوي في جامع السلطان أحمد ـ تصوير. المؤلف.





أنصاف القباب في جامع السلطان أحمد ـ تصوير المؤلف.

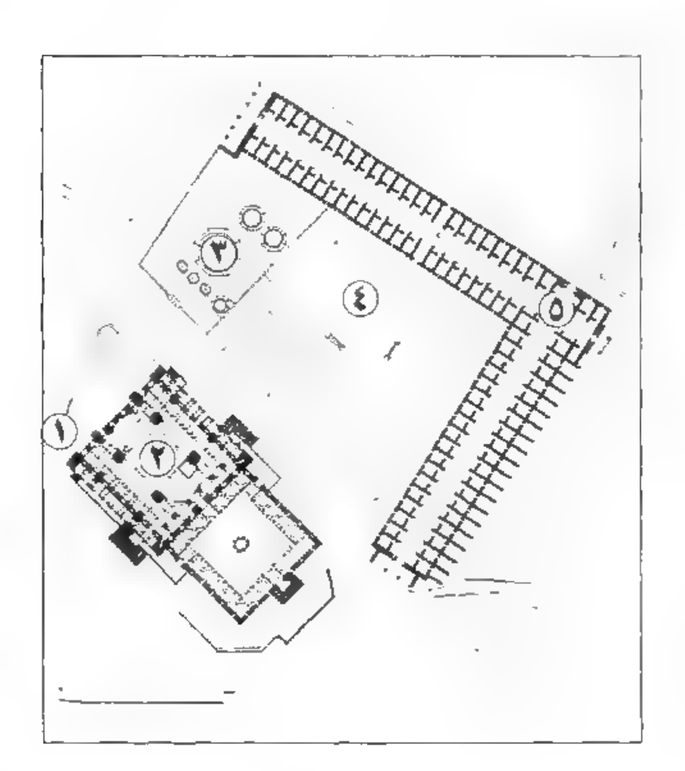
# الجامع الجديد



الجامع الجديد في منطقة أمينونو بمدينة إستانبول

يقع هذا الجامع بمدينة إستانبول، وقد شهد مرحلتين من البناء، فقد شرعت في بنائه والدة السلطان محمود الثالث (صفية خاتون) عام١٦٠٣ م، ولهذا أطلق اسم(يني والدة جامع)، كلمة يني باللغة التركية معناها الجديد ،( ثم استكمل بناؤه بين عامي ١٦٦١ و١٦٦٣ م، على يد شيخ المعماريين مصطفى آغا، بتكليف من والدة السلطان محمد الرابع ( الأم تورخان سلطان). ويعدّ هذا الجامع آخر المجمعات البنائية الضخمة

يبلغ قطر القبة ٣٥ متراً، وارتفاعها ٣٦ متراً، وتكاد تكون مدببة عند نهايتها، وتبرز الدعائم الأربع التي تحمل القبة الرئيسة، ممثلة في الأبراج الخارجية المثمنة وأغطيتها ذات المقصوص. وللمسجد مئذنتان، ولكل واحدة ثلاثة مدارات أو مطافات للمؤذن. ويدور مع صحن المسجد صف من البوائك، وهذه يغطيها ٢٥ قبة، ويحمل البوائك عشرون عموداً .ويقع الجامع ضمن مجمّع يحتوي على ضريح تورخان سلطان، ودار لتحفيظ القرآن، ومدرسة أولية، و٨٦ دكاناً، والسوق المصري المسقوف، وسبيل ماء.




المسقط الأفقي للمجمع ويحتوي على:

١ــ المدخل، ٢ــ الجامع، ٣ــ المقبرة، ٤ــ الحديقة، ٥ــ سوق مصر المسقوف



الواجهة الجانبية للجامع - تصوير المؤلف

# المنارة العثمانية

تعد المآذن إحدى أهم المعالم البارزة في العمارة الإسلامية، وقد تنوعت وتعددت أشكالها وأساليب تشييدها؛ لتباين مواد البناء المتوافرة وتنوعها مع الارتباط بالزمان والمكان، لتحمل طرازاً معمارياً خاصاً بها ويميزها من سائر المآذن التي تنتمي لعهود وحضارات أخرى.

وتميزت المآذن أو المنارات العثمانية بشكلها الأسطواني المدبب، وبطولها السامق مع تعددها. وصار لها شكل يميزها منسائر المنارات التي تعود إلى عهود أخرى.

خلال مراجعتي ودراستي لفن العمارة العثمانية، وجدت أن التركيز الكلّي في الدراسات والبحوث التي تناولت عمارة المساجد العثمانية ينصبُّ على شكل القبة العثمانية التي حققت أكبر قطر وأعلاه ارتفاعاً.. ومن أهم الباحثين المعدودين الذين ركّزوا في عمارة المنارة العثمانية كانت الأستاذة الدكتورة أيلا أوداكا. فعرّفت المنارة بأنها عنصر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في عمارة المساجد بشكل عام، وبأنها أشبه برمز المدينة الإسلامية، وحظيت المنارة في العهد العثماني بعناية خاصة وفائقة؛ لأنها تحمل مفهوم الخصوصية والدقة في العمارة الإسلامية.

ومع بداية عمارة سنان كان شكل المنارة العثمانية أقرب إلى الشكل الأسطواني، أضلاع متعددة، وقمة مخروطية. وقد تطور شكل المآذن في العهود الوسطى لتتحول إلى جزء مهم منتم إلى الكتلة الأصلية للمسجد، نقصد به القبلية. ولتصبح المنارة ذات مضمون ورمزاً للقوة. فقد ازداد عدد المآذن. وكانت هذه مرحلة جديدة في العمارة العثمانية.

تأثرت المآذن بالزلازل والعواصف لتصبح حمايتها أمراً في غاية الصعوبة. وخضع عدد منها إلى عملية صيانة وترميم لبدنها ولأعلى قسم فيها. ومنها ما هدم وبني من جديد عدة مرات. ومع بناء المنارة من جديد حدثت بعض التعديلات في الأسلوب المعماري لإنشائها. حافظ بعضها على الأسلوب الكلاسيكي مع القليل من التعديلات مما أدى إلى تشويه بعضها لإدخال عناصر جديدة وغريبة عليها. كما حدث في جامع كليج علي باشا. وفي عهد السلطان بيازيد الثاني كانت عمارة المآذن ثرية جداً. وحافظت على شكلها في عمارة سنان خصوصاً بالنسبة إلى المساجد التي تحمل خصوصية معينة.

كان القرن الخامس عشر أشبه بمرحلة يمكن تسميتها بفترة البحث عن الهوية، وكانت البداية الحقيقية في إعطاء الشكل النهائي للمنارة، وازداد عددها وعدد شرفاتها، كما كان في جامع أوج شرفلي الذي درسناه سابقاً في الفصل الثاني من هذا الكتاب. واستمرت المآذن في القرن السادس عشر تحمل الشكل نفسه وأصبح جامع بيازيد الثاني النموذج الذي يحتذى به لسائر المآذن العثمانية، وكانت هذه المآذن أشبه بالمرحلة البدائية للمعمار سنان. فمع المنتصف الثاني للقرن السادس عشر الميلادي، استكملت الصورة النهائية لأقسام المنارة، بالإضافة إلى وضوح العلاقة التي تربط المنارة بكتلة الجامع، ووصلت المنارة إلى شكلها الكلاسيكي النهائي.

## أقسام المنارة:

في عهد سنان كانت هناك ثلاثة أقسام ثابته ومرتبطة بالمنارة ويمكن تعدادها على النحو الآتي :

١ـ رأس المئذنة، ويتألف من الجوسق والقلنسوة المخروطية المغطاة بطبقة رصاصية وفوقها التفاحات وأخيراً الهلال النحاسي.

٢ ـ الجذع (البدن) ويضم الشرفة ذات المظلة والدرابزين بالإضافة إلى المقرنصات وكوة الإضاءة.

٣ ـ القاعدة (الأساس والمقعد والقدم).

علماً أن العمارة السلجوقية والعمارة العثمانية البدائية لم تحملا جميع هذه العناصر.

مئذنات جامع السليمانية
بمدينة إستانبول
تصوير. المؤلف

## الـوضعـيـة:

حددت وضعية المنارة ضمن المبنى، ماعدا بعض النماذج ذات المنارة الواحدة، فقد أخذت المنارة مكاناً مرتبطاً بالقبلية، وكان الجامع أو المسجد يأخذ الاتجاه الشمالي الغربي. كما التصقت قاعدة المنارة بالجدار الغربي للجامع أو عند الصف الأخير للقبلية، ويمكن الدخول إلى المنارة إما من داخل القبلية وإما عن طريق آخر صف للقبلية، أو من الخارج بواسطة باب خارجي لقاعدة المنارة مفتوح نحو صحن الجامع

وهذه قاعدة متبعة في جميع الجوامع العثمانية، ماعدا بعض النماذج المحدودة، مثل جامع قاسم باشا، وبيالا باشا وعذاب قابي سوكوللو محمد باشا، وقاضي عسر حاج إواز أفندي.

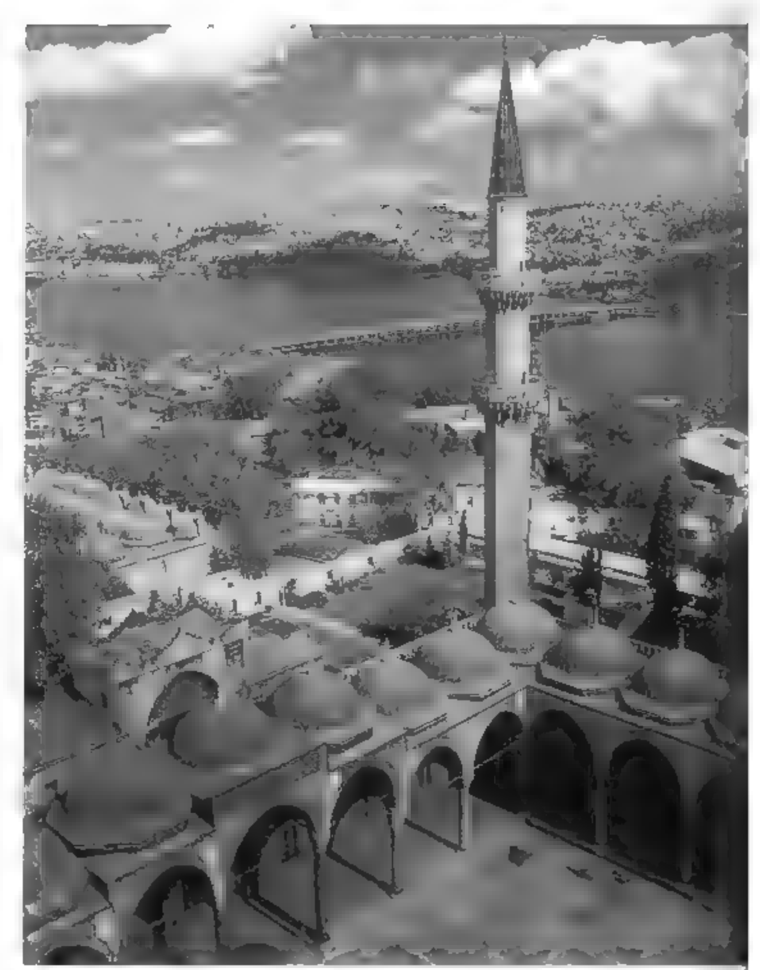
وفي حالات زيادة عدد المآذن إلى مئذنتين أو أربع، مثل جامع شهزاده والسليمانية والسليمية، تأخذ مكانها عند زوايا الحجم المغلق، أو عند زوايا صحن الجامع لتضفي هذه المنارات المرونة على الشكل العام. ولتتماشى مع شكل الكتلة الرئيسة - القبلية المقببة - فينطلق الشكل من قمة مركز القبة نحو الأرض وبشكلٍ متدرج ليوّلد حركة عامودية لتقوي مفهوم المركزية والرمزية لشكل الجامع.

وتمر المنارة بعملية تحوّل في الشكل من القاعدة المربعة إلى البدن الدائري، وتتم هذه العملية عند قسم القدم، حيث تبدأ مراحل التدرج فيها. وفي عهد سنان صارت أقسام المنارة ثابتة، مثل القاعدة والقدم والبدن. ويكون للقاعدة تربيبات معينة (كورنيش) لتبدأ في أقسام البدن وعلى شكل حلقي.

## النسبة والمقاس:

تميزت المنارات أو المآذن العثمانية في عهد سنان برشاقتها وارتفاعها. ففي جامع السليمية بأدرنة وصل طول المنارة إلى ٨٠و٧٠ متراً، وكان ذلك أعلى ارتفاع تصله المنارة العثمانية. لتتجاوز منارات جامع أوج شرفلي ٧٥و٦٧ متراً

وقد أصبحت سماكة البدن أيضاً أقل فوصلت في جامع السليمية إلى ٣,٩٥ أمتار. بينما كانت في جامع أوج شرفلي ٥٨و٤ أمتار، بالإضافة إلى أن أقسام البدن قد ازدادت نحافة بعد الشرفة الأولى.



منارة جامع السليمانية متوضعة عند أحد زوايا صحن الجامع

## مادة البناء:

بدأت الجوامع تأخذ منحى رمزياً لتصبح أشبه بنصب تذكاري كما هو الحال في جامع أوج شرفلي. واعتمدت جميع الجوامع العثمانية على الحجارة لتوافرها وصلابتها.

## الزخارف:

لمقعد المنارة زخارف حجرية ثابتة. اعتمدت الأشكال المثلثية الممتدة من شكل المربع إلى الشكل الدائري، وبطريقة خطوط ممتدة من جوانب أضلاع المضلع لتصل إلى الجدار الأسطواني لبدن المنارة، وعلى شكل إشعاعي.

وكان بدن المنارة أقرب إلى شبه المنحرف المتعدد الأضلاع، واستخدمت فيها الزخارف تحت الشرفات أو عند جدرانها. وهي على شكل درابزين حجري متداخل.

وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر أصبح أسلوب تزيين المنارات عنصراً أساسيا ومهماً خصوصاً عند الشرفات. مع استخدام المقرنصات تحت الشرفات وبشكل متدلٍّ. أما جدران الشرفات فزينت بأشكال هندسية مملوءة أو مفرغة.

وكان اعتماد سنان على اللون الأحمر بالنسبة إلى الحجر، أما اللون الحاكم للخزفيات الصينية فهو الأزرق. علماً أن هذا اللون قد استخدم في المآذن السلجوقية، وبدايات العمارة العثمانية. كما ظلت فكرة استخدام الألوان في المنارات العثمانية محدودة جداً.

ففي العهد البدائي للعمارة العثمانية كان هناك مبالغة في شكل المنارة باستخدام أعمدة غليظة عند زواياها، مع الاعتماد على المقرنصات والحفر على الحجارة واستعمال الأشكال المثلثية المدببة. أما بدن المنارة فزين بالحفر عليه وبعمق مع استعمال أشكال مجدولة على الحجارة الحمراء. في عهد سنان بدأ التخفيف من تزيينات المنارة مع ترك الفراغات المناسبة بين الأشكال المجدولة المزدحمة والمبالغ فيها أيضاً. وأبقى شكل المقعد كما هو عليه. وخفف من تزيينات القدم، ودخلت البساطة على بدن المنارة. وهذه النقاط باتت سارية بالنسبة إلى جميع المنارات. أما منارات جوامع شهزاده وأياصوفيا وسوكوللو ومانيصا والسليمية فكانت جميعها قد صممت ونفذت بعناية ودقة خصوصاً بالنسبة إلى شرفاتها المزينة بالمقرنصات وجدران شرفاتها.

جميع هذه العناصر قد حققت مفهوم البعد الثالث وعملية الظل والضوء، وأهم نموذج لتلك المنارات، منارة جامع شهزاده. وقد حقق سنان في منارة السليمية بأدرنة أرقى أشكال المنارة العثمانية بطولها السامق، وشكلها المخروطي المدبب الفني بالدقة والموضوعية.

هنالك نماذج أخرى محدودة لسنان، مثل مسجد يدي كولا، ومسجد حسن زاده استعمل فيها الشكل الكلاسيكي للمنارة معتمداً على المقرنصات. غير أن معظم أعماله كان فيها إحساس الحرية في خلق أفكار وأشكال جديدة مبتعداً عن الشكل الكلاسيكي للمنارة وجاعلاً منها وحدة منفصلة عن الكتلة الرئيسة للجامع أو المسجد.



# تدهور العمارة العثمانية

بعد هذا التطور الواسع في عمارة المساجد العثمانية، ذات الصخامة والارتفاع في قببها، وفي تعدد مآذنها، وتميزها بشكلها المخروطي المدبب السامق، عصفت رياح التجديد في الدولة العثمانية، مع التحرك التدريجي نحو أوروبا وفرنسا خصوصاً بعدما دخلت بلاد المجر تحت سيطرة الدولة العثمانية عام ١٦٨٩م (معاهدة كارلوفيتش).

فخلال فترة حكم السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م)، ومع توطد العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا، بدأت العمارة تحمل طابعاً أوروبياً مستحدثاً ومتأثراً بفن الباروك والروكوك، لتسمى هذه المرحلة بزهرة التوليب، ولم ينعكس هذا التطور على المساجد فحسب، بل على القصور العثمانية والحدائق المحيطة بها أيضاً.

أول جامع عثماني بني على هذا الطراز هو مسجد نور العثمانية، الذي انتهى بناؤه عام ١٧٥٥م في فترة حكم السلطان عثمان الثالث، وحمل هذا الجامع جميع الأساليب الباروكية الجديدة التي دخلت على العمارة العثمانية، فقبته ذات القطر (٣٥,٧٥ متراً) محمولة على أربعة عقود كبيرة مدعمة بأبراج ركنية، وظهر المحراب خارج جدار القبلية، وقد تحول صحن الجامع المعهود إلى شكل بيضوي مع انعدام الشادروان الذي كان أحد أهم العناصر في المساجد العثمانية. وللجامع مئذنتان مرتفعتان عند ركني المدخل

تطور هذا الأسلوب في أيام السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م) ليأخذ أسلوباً إمبراطورياً، كما أطلق عليه وهو مختلف بعض الشيء عن الأسلوب الأوروبي، واستمر في عهد السلطان عبد المجيد، حين تم إنشاء جامع دولمابهجة القريب من قصر دولمابهجة، وجامع أورطاكوي عام ١٨٥٤م، وبالأسلوب الجديد نفسه. وما نلاحظه في الجامعين، أن الجامع أصبح مبنى غنياً بالزخارف والقبة المحمولة على أربعة عقود، وذات أبراج ركنية، مع انقراض نظام أنصاف القباب، وهكذا أصبح الدخول إلى الجامع أو القبلية من الخارج مباشرة، لعدم إنشاء الصحن والتوابع.

جامع دولمابهجه بمدينة استانبول، والمشيد بالأسلوب الإمبراطوري ـ تصوير المؤلف





جامع أورطاكوي بمدينة إستانبول - تصوير المؤلف

لقطة داخلية لجامع أورطاكوي -
تصوير المؤلف



المدخل الرئيس لجامع أورطاكوي -
تصوير المؤلف



مسجد بيك بمدينة استانبول- تصوير المؤلف

هذه المرحلة في عمارة المساجد العثمانية شكّلت تدهوراً وابتعاداً عن العمارة العثمانية، على الرغم من أنه ظهر في الفترة الأخيرة بعض المعماريين الذين قاموا بتصميمات قريبة من العمارة العثمانية، أمثال المهندس كمال الدين (١٨٧٠-١٩٢٧م) الذي كان له عدة آثار، أهمها مسجد بوسطانجي، ومسجد بيك

وتحافظ تركيا إلى يومنا هذا على تراثها المعماري من خلال تشييد الكثير من المساجد ذات الطابع العثماني، وهو ما يبقي أسلوب الباروك محصوراً في عدة نماذج فقط، ليستمر منهج المعمار سنان صامداً مثلما بقيت أعماله صامدةً عدة قرون في وجه الزلازل.

الفصل الثالث

# تاريخ عمارة المساجد العثمانية في سورية

# العمارة العثمانية في سورية

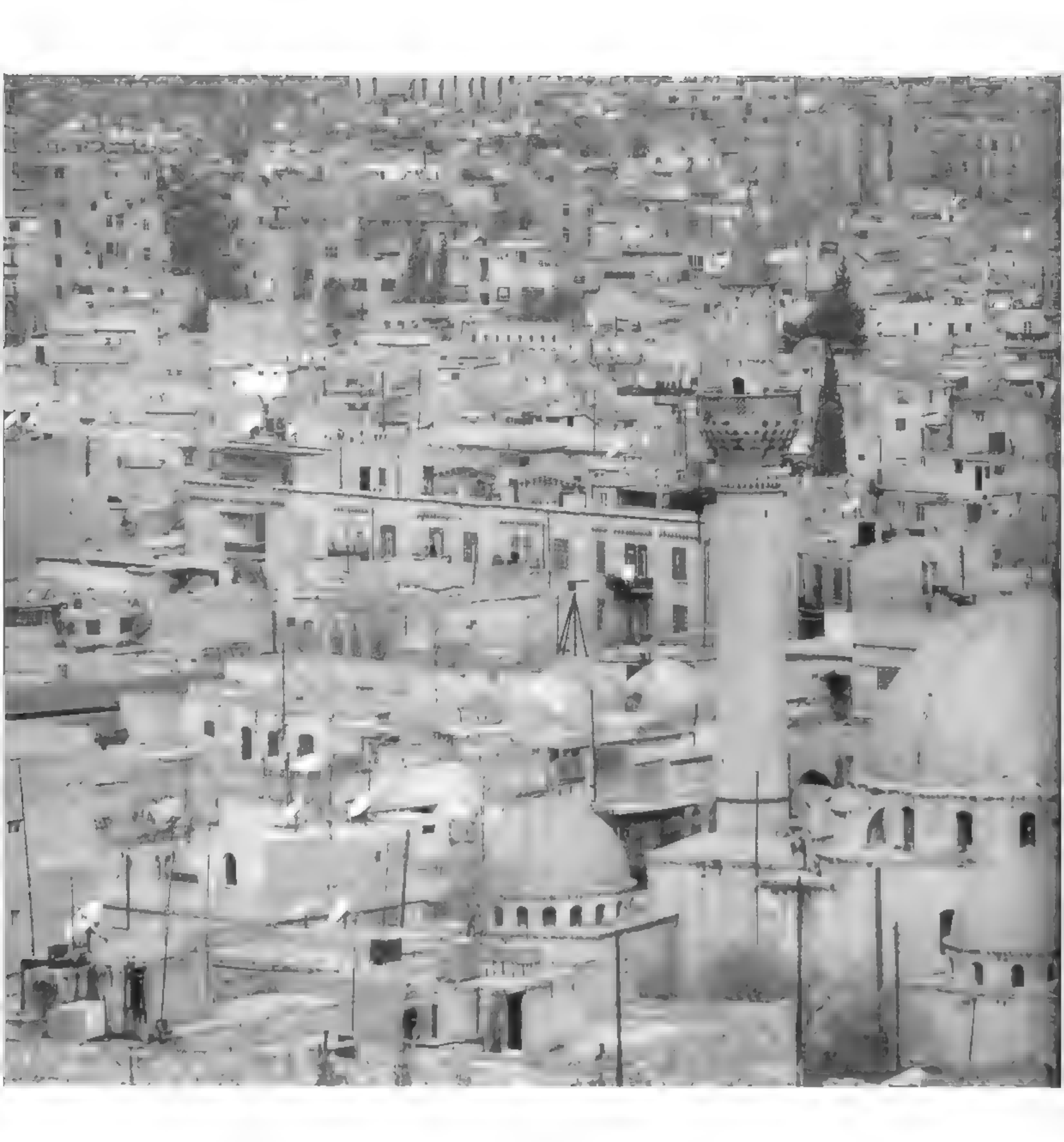

مدرسة العثمانية بمدينة حلب ـ تصوير: المؤلف.

كانت سورية مركز اهتمام جميع السلاطين العثمانيين خلال فترة حكمهم لها التي امتدت من عام ١٥١٦م (بدخول السلطان سليم الأول سورية بعد معركة مرج دابق)، حتى ١٩١٨م.

أنشأ السلاطين المساجد والمدارس والتكايا وغيرها من المباني المهمة، ذات الطراز العثماني، فظهرت القبب الكبيرة مغطية مساحات واسعة على شكل قطاع (جزء من كرة)، ولتستند القبة إلى رقبة دائرية من الداخل، أما من الخارج فلها بروزات يصل عددها إلى ١٦ بروزاً تتوزع بينها النوافذ للإنارة، وفي كل زاوية دعامتان، هذا بالإضافة إلى خلو القبلية من الأعمدة والدعامات التي كانت تقطع صفوف المصلين، وتحجب الرؤية عن الخطيب، وخصوصاً في العهد الأموي، كالجامع الأموي في دمشق، والجامع الأموي في حلب.

أما المدن، فتميزت في شكلها شبه الدائري؛ لأنها مؤلفة من ١٦ ضلعاً وبشرفة ونهاية مخروطية لتصبح أشبه بأقلام الرصاص المدببة، وظهور الإيوانات المرتفعة عن مستوى أرضية القبلية.

ولكي نزداد تعرفاً إلى شكل العمارة العثمانية للمساجد في سورية، علينا أن ندرس بعض النماذج العثمانية التي بنيت في تلك الفترة، علماً أن عدد المساجد العثمانية ذات الطراز العثماني ظلّ محدوداً في سورية، غير أنها مازالت محافظة على جمالها وفنها المعماري إلى يومنا هذا بفضل متانتها وما رافقها من عمليات ترميم دائمة للمحافظة عليها.





لقطة للمدرسة الخسروية التي تعد أول نموذج عثماني بمدينة حلب ـ تصوير : المؤلف.

## المدرسة الخسروية في حلب

تقع في ساحة بزة عرب السلطانية، جوار قلعة حلب ( أمام مدخل القلعة)، وتعدّ أول المدارس العثمانية التي شيدت في سورية بشكل عام وأقدمها، وفي مدينة حلب بشكل خاص، فقد قام المعماري سنان ببناء المدرسة الخسروية عام١٥٣٦ م، بأمر من الوالي خسرو باشا بن سنان، في عهد السلطان سليمان الأول القانوني، وعلى الرغم من تواضع المدرسة من حيث القياس، مقارنة بمشروعات سنان التي نفذها فيما بعد في مدينة إستانبول وغيرها. إلا أنها من أهم المدارس الإسلامية، وتساير، وبنجاح، الموقع الذي أقيمت عليه، وتختلف عما سبقها من المدارس والمساجد، لتشكل بداية الحقبة العثمانية في تاريخ مدينة حلب، فقد ظهر أول مرة في عمارة المساجد التخطيط المعتمد على القبة الواحدة.

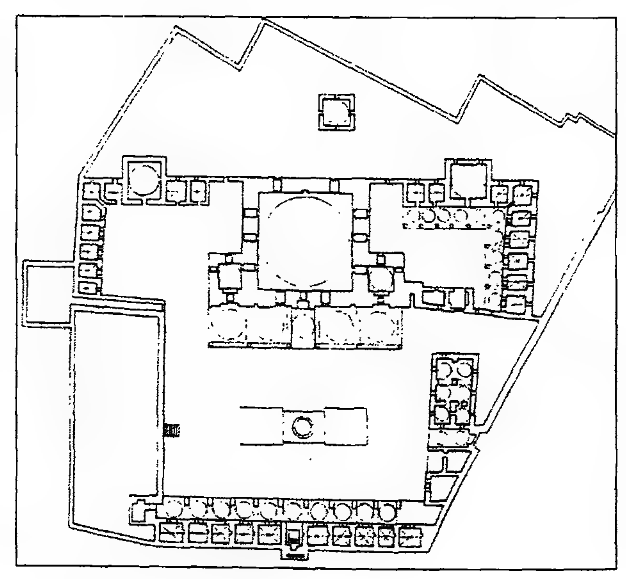
للمدرسة ثلاثة مداخل، موزعة على النحو الآتي: المدخل الغربي، وهو باب خشبي قديم يعلوه قوس حجري قليل الانحناء ثم قوس مدبب بارز محمول على ظفرين، و يؤدي المدخل إلى ممر مستطيل الهيكل، سقفه قبتان محمولتان على أقواس عريضة. ويبرز المدخل الشمالي عن سور المدرسة، ويتميز بقوس قليل الانحناء، يحيط به قوس مدبب محاط بتجويفين بينهما بروز، ويؤدي المدخل إلى بهو مربع الشكل، سقفه قبة محمولة على قوسين جانبيين. يؤدي البهو إلى الرواق الشمالي المنخفض مقدار عشر درجات عن مستوى المدخل المذكور. أما بالنسبة إلى المدخل الشرقي، فيتقدم السور، وشكله مستطيل، وهو حديث العهد

القبلية قاعة مربعة الشكل (١٧ X ١٧ ) متراً، مدخلها من الباحة خشبي عريض يعلوه قوس قليل الانحناء، يتمازج فيه اللونان الأصفر

والأسود، تعلوه زخرفة هندسية من الرخام مع كتابة حجرية في لوحة مستطيلة الشكل مع كتابات قرآنية ثم مقرنصات. ويبلغ قطر قبة القبلية ١٨متراً، محمولة على جدار حلقي، يحوي ١٦ نافذة، وهذا الجدار مدعم من الخارج بشدادات حجرية نصف قوسية؛ وذلك لمقاومة القوى الأفقية على بدن القبة، أما الجدار الحلقي نفسه فهو محمول على ثمانية أقواس جدارية، وزاوية حولت الشكل المربع إلى دائرة. وقد استعملت الأقواس ذات المراكز الأربعة في حمل القبة، وفوق النوافذ والمحراب أيضاً.

محراب القبلية مضلع (سبعة أضلاع مبطّنة بالخشب المزخرف)، ينتهي من كل طرف بربع عمود صغير، ثم عمودين يحملان القوس المدبب، ويحيط به من الأطراف الثلاثة إطار حجري عريض يحمل اللونين الأسود والأصفر. يتميز المحراب بغزارة زخارفه وتنوعها، وينتهي القسم العلوي منه بتاج كبير مزخرف. أما المنبر، فهو حجري، ويعلو بابه قوس قليل الانحناء. ويوجد في القبلية سدة خشبية، تتوضع في الجزء الشمالي الغربي من القبلية، وهي محمولة على عشرة أعمدة حجرية دائرية المقطع ومقرنصة التيجان.

يتقدم المدخل ردهة يتوضع على جانبيها عمودان مزخرفان بزخارف نباتية ناعمة يضمان محرابين متقابلين. يبلغ قطر قبة القبلية ١٨ م، محمولة على جدار حلقي يتضمن ست عشرة نافذة. وهذا الجدار مدعّم من الخارج بشدادات حجرية نصف قوسيه؛ وذلك لمقاومة القوى الأفقية على بدن القبة. أما الجدار الحلقي نفسه فهو محمول على ثمانية أقواس جدارية وزاوية حولت الشكل المربع إلى دائرة. وللقبلية ثمانية نوافذ وبابان يؤديان إلى حجرتين على جانبي القبلية، وإلى يمين الداخل إليها يتوضع درج حلزوني ضمن الجدار يؤدي إلى السدة الخشبية وإلى السطح.



المسقط الأفقي للمدرسة الخسروية بمدينة حلب.

يتقدم القبلية رواق سقفه خمس قباب محمولة على أقواس عرضية وطويلة جدارية، محمولة بدورها على ستة أعمدة دائرية المقطع وتيجان مقرنصة، وهي ذات قواعد دائرية أيضاً. هذه الأعمدة مشدودة بعوارض حديدية إلى جدار القبلية من جهة، وبعضها إلى بعض من جهة أخرى. مستوى هذا الرواق يرتفع عن الصحن ما عدا الوسطى الذي يتقدمه مدخل القبلية.. أما أرضيته فهي مبلطة بتباليط حجرية، وفي كل جهة من جهتيه الشرقية والغربية يتوضع محراب بسيط.

تقع المئذنة في يمين المدرسة، وتعدّ مئذنة غليظة، وبطول متوسط، إذا ما قورنت بالمآذن العثمانية الأخرى ذات الطول السامق، على الرغم من أنها تعكس الطراز العثماني، من حيث الشكل العام (قلم رصاص)، وتتألف من ثلاثة أقسام: الأول، ومقطعه مربع مدخله عبر الصحن صغير يعلوه قوس من الأحجار المتناوبة (الصفراء والسوداء). والثاني مقطعة مضلع ١٦ ضلعاً قد تحوّل من الشكل المربع عبر مقرنصات زاوية، جزؤه السفلي مائل قليلاً بزاوية معينة ثم ينتهي بإطار بازلتي تعلوه زخارف متعاكسة ومتناوبة بين اللونين الأصفر والأسود، وهذا القسم يشكل نحو ثلثي المئذنة، وينتهي بشرفة المؤذّن الحاوية على الكوليسترا الحجرية. أما الثالث، فيقع فوق الحلزوني، وهو أقل قطراً وينتهي بمخروط رصاصي.

للمدرسة تكية، وهي قاعة مربعة الشكل، سقفها قبة نصف كروية، ومدخلها قوسي يؤدي إلى ردهة مربعة الشكل محاطة بأربعة أقواس، وعلى جانبيها مصطبتان. وسقف الردهة قبة، تتوسط عناصر التكية باحة يحيط بها من الجهتين الجنوبية والغربية رواقان، الجنوبي منهما محمول على خمسة أقواس، بينما الغربي محمول على ثلاثة أقواس، وخلف الرواقين غرف صغيرة مسقوفة بأقبية متقاطعة. كانت التكية قديماً مكاناً لإطعام الفقراء وإيوائهم، ثم جعلت قاعة محاضرات، ثم حجازية.

## جامع العادلية في حلب

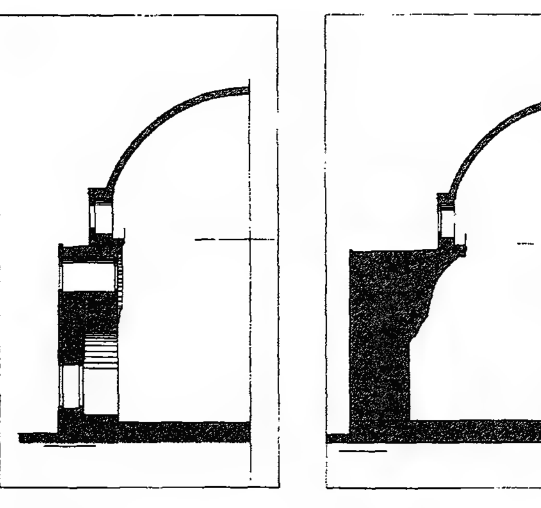
أنشئ هذا الجامع عام ١٥٥٥ م في ساحة بزة بمحلة السفاحية، بأمر من محمد باشا بن أحمد بن دوقة كين، وفي عهد السلطان سليمان الأول القانوني، ويتميّز من الجوامع العثمانية الأخرى بالرواقين المتتابعين الموجودين أمام القبلية، من الجهة الشمالية: الرواق الأول داخلي يقوم على مصطبة مرتفعة، في وسطها مدخل القبلية، يعلو هذا الرواق خمس قباب ترتكز على عقود مدببة محمولة على جدران القبلية من الجهة الجنوبية، وعلى دعامات حجرية دائرية المقطع تعلوها تيجان من المقرنصات الدقيقة .أما الرواق الخارجي فهو محيط بالرواق الأول، مسقوف بسقف بيتوني محمول على سبعة عشر عقداً مدبباً محمولة بدورها على أعمدة حجرية دائرية بتيجان مزخرفة بالمقرنصات والمتدليات الدقيقة الصنع التي تختلف من تاج إلى آخر، ترتبط هذه التيجان مع بعضها بأربطة معدنية تحول دون انفراجها تحت ثقل السقف والعقود، وفي الجهة الغربية للرواق موضأ بأبعاد( ٦,٦ X ١٣,٨ ) متراً، وبسقف بيتوني مستوٍ .وفي الركن الغربي للموضأ درج مستقيم يصعد إلى الطابق العلوي المبني فوق غرفة الإمام، وهو صالة كبيرة أبعادها (٥,٥ X٤,٤ ) أمتار، وذات سقف بيتوني مستوٍ.

للجامع مدخلان شرقي وغربي، المدخل الشرقي خالي من الزخارف وعرضه ١,٨ متر، بابه من الخشب المصفح بالحديد، ويؤدي إلى ممر طويل يبلغ طوله ٣٣,٢ متراً، وعرضه ٣,٣٥ أمتار، مسقوف بالأقبية وينتهي بصحن الجامع .أما المدخل الغربي فهو بوابة ضخمة عرضها ٢,٦ م، مؤلفة من درفتين كبيرتين من الخشب المصفح بالحديد، يعلوها قوس مدبب بكورنيش حجري ذو زخارف بسيطة تنفتح هذه البوابة على بهو صغير أبعاده (٢,٨ X ٤,٣٠م).

صحن الجامع فسيح، وذو مسقط شبه منحرف، طول ضلعه الجنوبي ٥١,٥متراً، يقع في وسطه الشادروان الدائري الشكل، والمسقوف بمظلة خشبية سداسية الشكل، ومحمولة على ستة أعمدة من الحجر الأصفر وذات تيجان بسيطة، ويتوسط هذه المظلة قبة خشبية مدببة ومصفحة بطبقة رصاصية، وفرشت أرض الجامع بالحجارة البيضاء المصقولة، أما أرض الصحن حول البركة، فمفروشة بالرخام الأبيض والأصفر والحجر الأصفر والحجر الأسود، وانتظمت في أشكال هندسية رائعة.

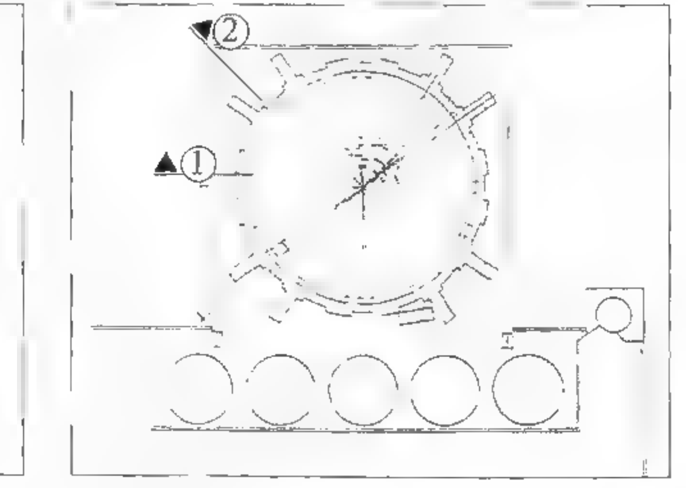
تتميز القبلية بمسقط مربع، يبلغ طول ضلعه ١٥,٦ متراً، ويتم الدخول إلى القبلية من ضلعها الشمالي عبر مدخل واحد عرضه ١,٨ م، مؤلف من درفتين خشبيتين تكسوها زخارف هندسية بديعة وتتوضع عليه ثلاث أشرطة نحاسية ذات كتابات تاريخية .وينتهي الباب في الأعلى بقوس مجزوء مبني بالمداميك الصفراء والسوداء، وتعلوه لوحة كتابية مزخرفة محفور عليها بخط الثلث آيات قرآنية.

يتقدم المدخل ردهة صغيرة على جانبها تجويفان مضلعان على هيئة المحاريب، تعلو كل نصف قبة مدببة من المقرنصات الدقيقة، ويحدّ ردهة المدخل من الجانبين عمودان دائريان من الرخام الأبيض، ويزين بدن كل عمود نقوش نباتية، ويعلوه تاج رخامي مقرنص. أما سقف الردهة فيتشكل من نصف قبة مدببة ومقرنصات ذات متدليات حجرية رائعة، ويزين واجهة المدخل من الأعلى عقد مدبب تكونت مداميكه من الحجارة الصفراء والسوداء المتداخلة. أما من الداخل فيعلو باب القبلية لوحة بشكل قوس مدبب من القاشاني الملون بالأزرق والأبيض عليه صور نباتية متعانقة يتوسطها قاشاني أزرق مكتوب عليه بخط الثلث آيات قرآنية، ويعلو المدخل سدة خشبية مرتفعة يصعد إليها من درج حلزوني يقع عن يمين المدخل.



مقطع ١-١.　　مقطع ٢-٢.

القاشاني الملون بين تحفة كل نافذة والقوس ذي المراكز الأربعة في جامع العادلية ـ تصوير المؤلف.




مسقط السطح لجامع العادلية.

المسقط الأفقي لجامع العادلية.



قبة القبلية الرئيسة كروية وواسعة القطر، محمولة على عنق دائري يتضمن ست عشرة نافذة، ويدعمه من الخارج ثماني أكتاف حجرية موزعة عند الزوايا، ويحمل عنق القبة ثماني أكتاف حجرية، موزعة عند الزوايا، فهي تشكل أنصاف قباب كروية تتألف من تسلسل عدة طبقات من المقرنصات على شكل حلايا فراغية؛ وذلك في النصف السفلي منها، أما النصف العلوي فهو سطح خال من المقرنصات، وإنما ينفتح فيه قمريتان لدخول النور يغطيها الزجاج الملون، وفي أطرافها الثلاثة: الشرقي والغربي والشمالي تقع ثمانية أواوين. يعلو باب القبلية قنطرة حجارتها نافرة، وانتشرت المقرنصات المطلية باللون الأخضر في زوايا القبلية، وانتشرت معها الأقواس فوق النوافذ، وفي المسحة بين تخفة كل نافذة والقوس ذي المراكز الأربعة فوقها نجد القاشاني الملون من الداخل والخارج، وجعلت حجارة بعض أقواس الأروقة ملونة، وزيّنت القبة من الداخل برسومات وألوان مختلفة

يزين المحراب من الأعلى عقد مدبب من الرخام الأبيض والأسود تعلوه جبهة ذات سطح زخرفي من الصور النباتية، وتختم الواجهة بكورنيش حجري بارز من المقرنصات الدقيقة، أما طاسة المحراب، فهي مملوءة بالمقرنصات، وأحيطت بالزخارف الحجرية والمزررات من الرخام الملون. وفي الإيوانات ظهر القوس المدبب، وعلى نطاق واسع في الرواق الخارجي أمام القبلية، وللقبلية نوافذ مطلة على حديقة الجامع الواسعة والمحيطة بالقبلية من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والشمالية، ويبلغ عددها عشر نوافذ، عرض كل منها (١،٤) م، ويعلو كل نافذة لوحة زخرفية على شاكلة اللوحة التي تعلو باب القبلية. ويقع على يمين المحراب منبر رخامي أبيض التكوين تزين حشواته الجانبية إطارات بسيطة من الرخام الأصفر والأسود، وله باب خشبي تكسوه زخارف هندسية دقيقة مطعمة بالصدف، يعلوه تاج من المقرنصات. أما مكان وقوف الخطيب فيعلوه هرم ثمانيّ الأوجه محمول على أربعة عقود مدببة تستند إلى أربع دعائم رخامية رشيقة. ويعلو المحراب نافذة مغطاة بالجص المعشق بالزجاج الملون، وبأشكال زخرفية نباتية غنية في الدقة والجمال.

القبلية من الداخل، ونجد المقرنصات في زواياها - تصوير - المؤلف.


الله



السدة الخانبية المخصصة للوالي في جامع العادلية بمدينة حلب ـ تصوير: المؤلف.



نافذة داخلية لجامع العادلية ـ تصوير: المؤلف.

ونلاحظ بساطة الواجهات الخارجية شبه الخالية من الزخارف، والتركيز نحو الواجهة الداخلية للقبة المشرفة على الرواق، وللقبلية سدة فوق الباب مباشرة للمؤذن، وسدة ذات أعمدة خشبية، كان يؤدي فيها الوالي أو السلطان صلواته بمعزل عن سائر المصلين، وذلك لأسباب أمنية

تقع المئذنة في الركن الغربي من الجامع، بالقرب من القبلية ( الجزء الغربي من القبلية )، وهي ذات طول شامخ، وتتوازن تماماً مع ارتفاع قبة الجامع. ويتم الدخول إليها من الزاوية الجنوبية الغربية للرواق. تقوم المئذنة على قاعدة مربعة ضخمة تتحول في أعلاها إلى الشكل المثمن، ثم إلى الشكل المضلع بواسطة خلايا فراغية على شكل رؤوس هرمية مقلوبة وعند سطح الرواق يبدأ بدن المئذنة بالارتفاع بمسقط مضلع وستة عشر ضلعاً خالية من أي زخارف أو نقوش ويحيط به من الأسفل والأعلى طوقان بارزان من الحجر الأسود، ويعلو الطرف العلوي مداميك متداخلة من الحجر الأسود والأبيض.

يتضمن بدن المئذنة سبع نوافذ صغيرة تنير درج المئذنة الحلزوني، ويمتد البدن حتى ينتهي بمقرنصات تحمل شرفة دائرية ذات درابزين حجري مخرم بمربعات صغيرة. وفوق الشرفة يقوم الجوسق المضلع، وينتهي في الأعلى بشريط من المقرنصات يعلوه ذروة مخروطية الشكل مصّفحة بالرصاص المضلع، ويصل ارتفاعها إلى ٥و٥ أمتار.

شهد الجامع عدداً من التعديلات والإضافات، فقد تم استبدال سقف من الحديد بالسقف الخشبي للرواق الخارجي، وذلك في عام ١٩٢٣م، كما انشئت الحجازية عام ١٩٦٠م، التي ضمت أحواض للوضوء، وفي عام ١٩٧٥م، تم تحويل سقف الرواق الخارجي إلى بيتون مسلّح.



الشادروان الدائري والمسقوف بقبة مغطاة بطبقة رصاصية ـ تصوير: المؤلف.



البوائك المسقوفة بالقبب في مدرسة التكية السليمانية بمدينة دمشق - تصوير: المؤلف.



انتشار البوائك حول صحن المدرسة - تصوير: المؤلف.

## التكية السليمانية في دمشق

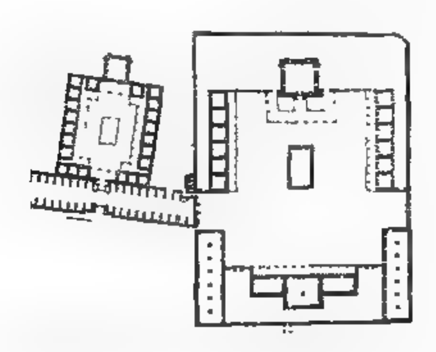
أنشئت التكية السليمانية في مدينة دمشق عام ١٥٥٧م على أنقاض القصر الأبلق المملوكي بأمر من السلطان سليمان القانوني الذي اهتم بالعمران، قام بتشييدها المعماري سنان، وفي العام نفسه أنهى إنشاء أحد أضخم أعماله، وهو جامع السليمانية في مدينة إستانبول، مع الفارق الكبير بين الجامعين في المساحة، وعدد المآذن، والعناية الفائقة بالزخارف والتزيينات الإسلامية لجامع السليمانية.

**والتكية:** هي شكل من أشكال المدارس التي تضم مسجداً وقاعات للتدريس، وغرفاً لإقامة العلماء والطلبة القادمين من خارج المدينة، ولسكن المحتاجين والفقراء.

هذه الغرف تفتح على الساحة المكشوفة، وأمامها أروقة مسقوفة بسلسلة من القباب، وذلك على جانبي الباحة من الجهتين الشرقية والغربية، ويتوسط الباحة بركة مستطيلة، مع توزع الحدائق في أرجاء التكية.

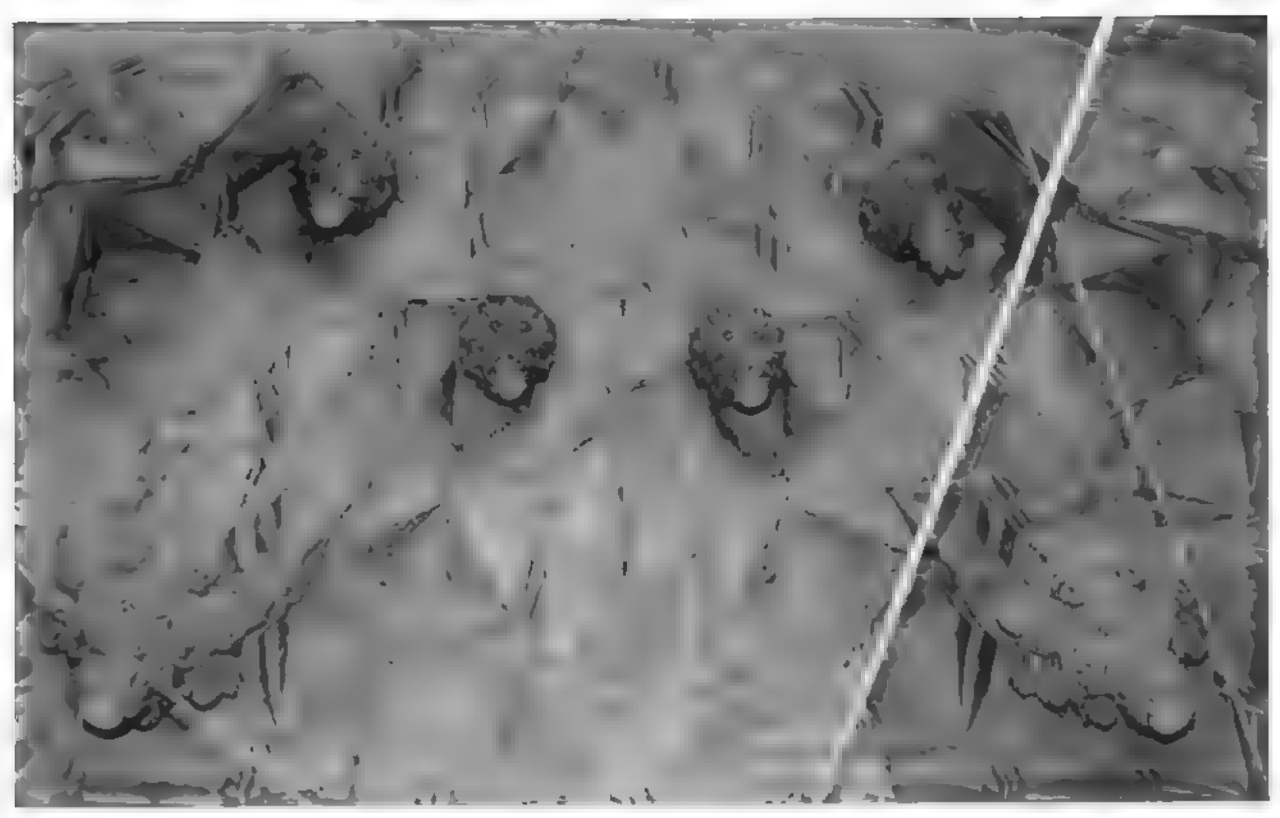
للمسجد قبة مركزية ضخمة، متربعة على جدرانه، ويبلغ طول ضلعه (١٦متراً)، تتوزع النوافذ على رقبة القبة، كما في جميع المساجد العثمانية، وذلك للإنارة، ولحماية القبة وضعت من الخارج عناصر حجرية داعمة لرقبتها، وهذا النظام منتشر في العمارة العثمانية إلى يومنا هذا في تركيا.

على ركني المسجد مئذنتان أسطوانيتان، تتقدمان القسم المركزي للقبلية، وجدران القبلية في الداخل خالية من الكتابات القرآنية أو المقرنصات. أما المنبر والمحراب فمصنوعان من الرخام، ويوجد سدة ذات أعمدة خشبية للمؤذن فوق باب المدخل مباشرة، وسدة ثانية ذات أعمدة رخامية لصلاة الوالي.



المسقط الأفقي للتكية السليمانية، ويلاصقها المدرسة





استخدام المقرنصات فوق باب مدخل التكية ـ تصوير المؤلف.



للواجهات الخارجية مداميك من الحجر الأبيض والأسود، وعلى شكل متناوب (الأبلق)، وربما اعتمد المعماري سنان هذه الطريقة بتناوب الألوان نسبة إلى القصر المملوكي الذي بنيت على أنقاضه، والمشيد بالطريقة ذاتها للتكية. يتم الوصول إلى التكية من ثلاثة مداخل محورية ومتعامدة مع الساحة المركزية الوسطى، وللتكية قسم آخر يضم مدرسة، وفي شمالها سوق.

يستفاد من التكية حالياً كمتحف حربي، وكمتحف للتقاليد الشعبية، حيث تعرض المنتجات السورية مع الورش الصغيرة للتعرف بهذه المنتجات، كصناعة الزجاج والمصيات والجلديات والسجاد والتحف اليدوية وغيرها من الصناعات اليدوية

باب القبلية في التكية السليمانية ـ تصوير المؤلف.





# جامع البهرمية في حلب

أنشأه والي حلب بهرام باشا بن مصطفى باشا بن عبد المعين عام ١٥٨٢م، ويقع الجامع في سوق السقطية بمحلة الجلوم الكبرى. يشتمل الجامع على أربعة جدران محيطة مبنية بحجارة النحيت، وعلى صحن مفروش بالبلاط الأصفر طوله ١٩ ذراعاً، وعرضه ٥٠ ذراعاً.

شهد الجامع عدداً من التعديلات، فقد انهدمت المئذنة، وجددت عام ١٦٩٩ م، وإنهدمت القبة أيضاً عام١٨٢١ م، وأعيد بناؤها عام ١٨٦٠م، بشكل أصغر عما كانت عليه في السابق، وترتكز على أربعة دعامات، وحولها أربعة أقبية مهدية طولانية، وفي الزوايا الأربع قبيبات تستند إلى أقواس مدببة، تنقل الحمولة إلى الدعامات، علماً أن القبلية كانت في السابق خالية من الأعمدة.

كما هدم الشادروان الواقع وسط صحن الجامع، وبني مكانه حوض مربع مكشوف عام١٨٨٢ م، وتم بناء بعض الملاحق الإضافية للجامع، مثل عرفة الحجازية الواقعة غرب صحن الجامع، وذلك في عام ١٩٢٥م، وتحولت إلى ميضأة مزودة بالماء الساخن، عبر أنابيب حديدية تربط بين الميضأة والمطحنة الواقعة أمام الجامع، ليصبح أول جامع تجرّ إليه المياه الساخنة، بغية الاستفادة منها في وضوء المصلين.

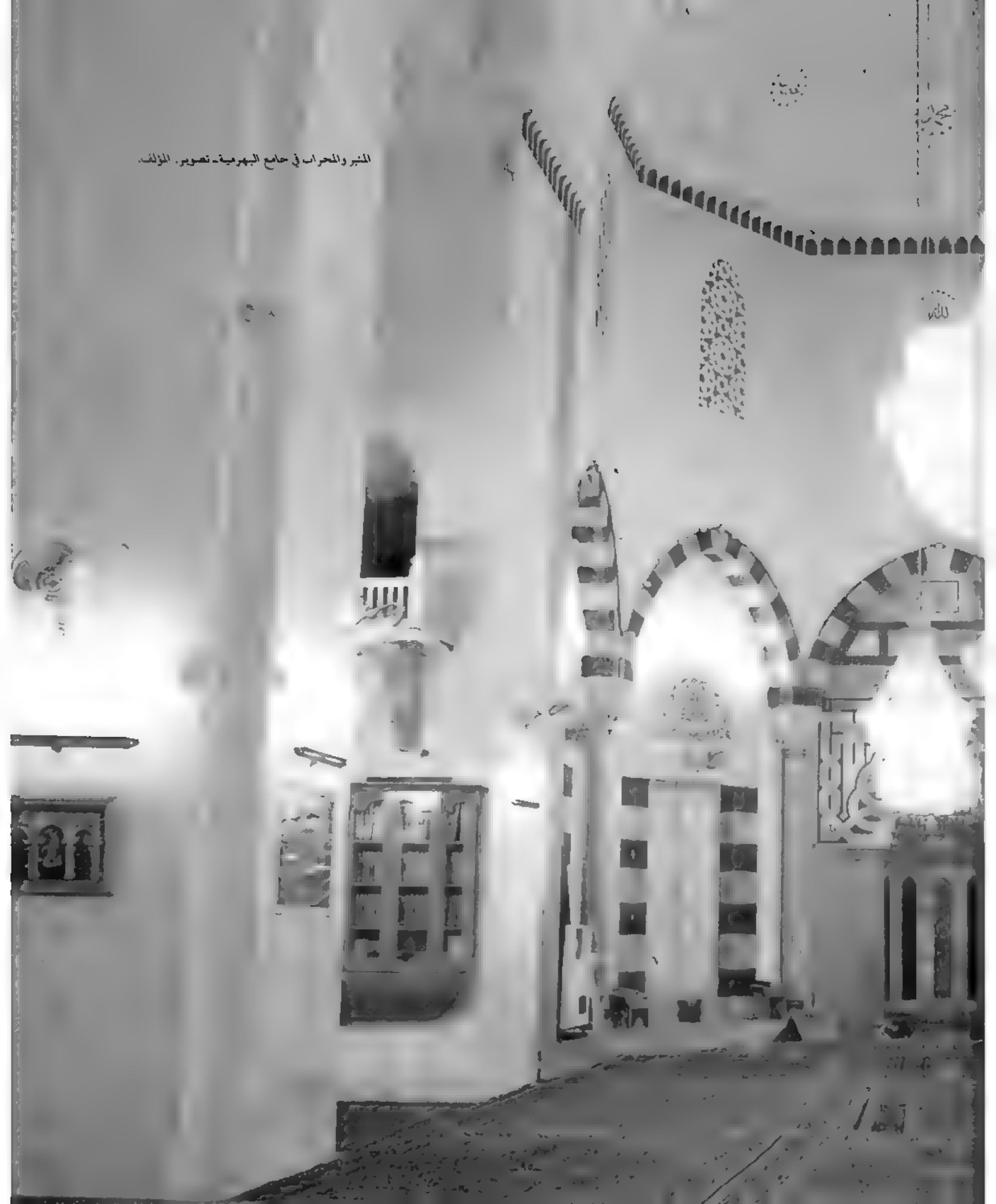
قبلية الجامع مفروشة بالبلاط، وتضم اثني عشر إيواناً صغيراً بأربعة عشر شباكاً من الحديد مطلة على الحديقة، ويتميز المحراب بوضعه ضمن إيوان خاص وعميق، ليكون نموذجاً فريداً في عمارة المساجد العثمانية في سورية، إضافة إلى شكله التزييني البعيد كل البعد عن المحاريب العثمانية، بتداخل المرمر الملون، ويعد محراب البهرمية استمراراً لمحاريب المدرسة الشاذبختية (١١٩٣م)، ومدرسة السلطانية (١٢٢٣م)، ومدرسة الفردوس (١٢٣٥م)التي تعود جميعها إلى عمارة العصر الأيوبي. بيد أنه يختلف عن النماذج السابقة بالألوان الصاخبة المستخدمة في المحراب، وبالطاسة المملوءة بالمقرنصات .مما يؤكد التأثير الأيوبي القوي والواضح في العمارة العثمانية في هذا الجامع

يقع المنبر على يمين المحراب، وهو مبني من الرخام الأبيض، ومزينة جوانبه بالفصوص الملونة، أمام المحراب مباشرة تقع السدة المحمولة على عواميد من الرخام. ويوجد إيوانان صغيران مفتوحان على



لقطة خارجية لصحن جامع المهرمية ـ تصوير المؤلف.


الرحيم
كانوا يعملون



المنبر والمحراب في جامع البهرمية- تصوير. المؤلف.

الرواق، والفتحات الأربع اليمنى في رواق الجامع قبو متقاطع. واستعمل القوس المدبب على نطاق واسع وواضح في إيوانات البهرمية، واستعمل القوس حدوة الفرس المدبب في القوس الأخير الأيسر من الرواق أمام القبلية.

يشتمل صحن الجامع على رواق قبلي، بجانبه الشرقي إيوان في صدره محراب، وشباكان من الحديد مطلان على الحديقة، يدخل منه إلى حجرة ويصعد منه بدرج من الحجر إلى إيوان معلق شرقي مطل على القبلية المذكورة، وبجانبه الغربي إيوان صغير آخر، بصدره محراب ونافذتان مطلتان على الحديقة الداخلية. بجانب هذا الإيوان منارة الجامع، ومؤلفة من ستة عشر ضلعاً، ولها شرفة ذات ستة عشر ضلعاً أيضاً ومزينة بالمقرنصات، ونهاية المنارة مخروطية الشكل.



الباب الخارجي لجامع البهرمية- تصوير المؤلف.



استخدام القوس «حدوة الفرس» في رواق جامع البهرمية- تصوير المؤلف.

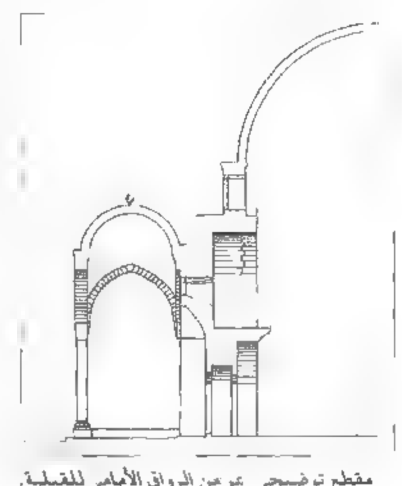
# المدرسة العثمانية في حلب

أنشئت هذه المدرسة عام ١٧٣٠م في مدينة حلب، سميت بالعثمانية نسبة لبانيها: عثمان بن عبد الرحمن باشا، كانت مركزاً مهماً لتدريس الطلبة على أيدي العلماء ورجال الدين ولإقامتهم أيضاً (أشبه بالمدرسة الداخلية)، فللمدرسة أربعون حجرة صغيرة مسقوفة في شكل معقود أو مقبب، لإقامة الأساتذة والطلبة، ولكل غرفة موقد جداري مستقل، ونافذة مطلة على صحن المدرسة، في يومنا هذا يقيم في هذه الغرف طلاب الشريعة، إضافة إلى الإمام والمؤذن

تحيط بصحن المدرسة ثلاثة أروقة، فمن الجنوب إلى الشمال هناك ١٣ قبة محمولة على ١٣ عموداً، و١٢ قبة محمولة على ١١ عموداً في الرواق الغربي، أما الرواق الشرقي فله ١٧ قبة محمولة على ١٥ عموداً، عملية الربط بين أعمدة الأروقة والجدران الداخلية جرت بواسطة أسطوانات حديدية لتزيد من متانة المدرسة.



المسقط الأفقي للمدرسة العثمانية — مسقط السطح للمسجد





مقطع توضيحي يمر من الرواق الأمامي للقبلية.




بني المحراب والمنبر من الحجر الأصفر الخالي من الزخارف أو المقرنصات ـ تصوير المؤلف.




الايوان الواقع على جانب القبلية ـ تصوير المؤلف.

في المدرسة قاعة للتدريس وإيوانان كبيران على جانبي القبلية، يشغلان مساحة كبيرة خارج الرواق، وأغلقت الواجهة المطلة على صحن المدرسة حديثاً بباب خشبي ذي وجه زجاجي، وذلك لحماية المصلين من برودة الشتاء، علماً أن لكل إيوان محراباً صغيراً.

أمام القبلية رواق مسقوف بثلاث قباب كروية تستند إلى أقواس مدببة، وتستند هذه الأقواس إلى أعمدة حجرية دائرية، تدخل للقبلية من منتصف الرواق، والقبلية أو الجامع عنصر أساسي في جميع المباني العثمانية.

سقف القبلية على شكل نصف كرة كاملة، قطرها (١٤متراً)، وتستند إلى رقبة دائرية فيها (١٦) نافذة للإنارة، وتدعمها (٨) دعامات، وفي كل زاوية من زوايا القبلية الأربع دعامتان، تستند الرقبة إلى جدران سميكة، وفي كل جدار ثلاثة نوافذ عدا الجدار القبلي ففيه نافذتان على جانبي المحراب، يحيط بالقبلية من الداخل شرفة مستندة إلى جدران القبلية السميكة للقيام بأعمال التنظيف والصيانة.

من الناحية الإنشائية استعمل القوس فوق النوافذ فقط لغاية تزيينة، أما القوس المدبب، فاستعمل في الإيوانات والمحراب والرواق، كما استعمل القوس الموتور، والقوس المستقيم للنوافذ والأبواب، وبنيت عقود الرواق بمداميك متناوبة اللون بالأسود والأصفر.



الغرف المحيطة بصحن المدرسة والمخصصة لإقامة الأساتذة والطلبة ـ تصوير المؤلف.

وعقدت جدران القبلية بكلاليب من الحديد والرصاص لتجعل منها قطعة واحدة متكاملة ومتماسكة، وفوق باب القبلية مباشرة هناك سدة خشبية مرتكزة على أعمدة رخامية، يصلي فيها المؤذن، مردداً خلف الإمام في صلاة الجماعة، ويصل إليها عبر درج حجري داخلي، وفوق المحراب هناك سدة أخرى، وعلى الجانبين أيضاً، لتتصل جميعاً فيما بينها من الداخل.

ما نلاحظه داخل القبلية هو البساطة التامة، فالجدران والقبة خالية تماماً من التزيينات، بُني المنبر والمحراب من الحجر الأصفر الخالي من الزخارف أو المقرنصات، وللمدرسة مئذنة برأس مخروطي يصل طولها حتى شرفة المؤذن إلى (٣٠متراً)، ومحيطها سبعة أمتار.

وقد استعاض عن الشادروان المزخرف بميضأة متواضعة، مع انتشار الحدائق والأشجار، وهناك الحمامات ومقبرة خاصة على جانب المدرسة، وسبيل ماء لسقاية المارة منفتح على الحي.

هناك ثلاثة مداخل للمدرسة، من الشرق والغرب والشمال جميعها تفضي إلى صحن المدرسة، وينزل بدرج حجري إلى صحن المدرسة عبر أحد هذه المداخل لاختلاف العلو بين الحي (الحارة) وبين المدرسة.

غطيت جميع القبب بصفائح رصاصية للحماية من هطول الأمطار، وهذه سمة أساسية في العمارة العثمانية منذ نشأتها، ظلت هذه الطريقة مستمرة في تركيا إلى يومنا هذا..

• ظهور المسقط الأفقي المربع للقبلية بمساحة أفقية واسعة وخالية من الأعمدة.

• ظهور الإيوانات ذات المحاريب الصغيرة، وبناء الرواق والمصطبتين أمام القبلية، مع انتشار الأروقة ذات القبب والمحيطة بصحن الجامع لتستند هذه القبب إلى الأقواس المجاورة مباشرة.

• استعمال القبة الكبيرة (جزء من كرة نصف كروية) لتغطية مساحات واسعة، ولهذه القبة رقبة دائرية من الداخل ذات البروزات والدعامات من الخارج، علماً أن القباب مغطاة بصفائح من الرصاص.

• انتشار القوس ذات المراكز الأربعة، لنقل الحمل إلى الجدران السميكة، مع تعدد الأقواس الحاملة للقبة، واستعمال الحنيات الركنية التي تحوي بداخلها المقرنصات، والمقرنصات نوع من الزخرفة الجزئية، وبديل من الزوايا المثلثية الكروية، مكونة من حنايا صغيرة مقوسة تشبه المحاريب، ويتدلى بعضها فوق بعض في طبقات وصفوف في شكل فني لتنحصر بينها أشكال منشورية مقعرة.

• ظهور القوس حدوة الفرس المدبب، وهو عقد يرتفع مركزه عن رجلي العقد، ويتألف من قطاع دائري أكبر من نصف الدائرة.

• العناية بالقبلية، وذلك بتزيين المحراب والمنبر بشتى أنواع الرخام والموزاييك (في بعض الجوامع)، والقاشاني فوق النوافذ، أو الزجاج الملون للنوافذ مع الكتابات القرآنية المذهبة أو الملونة، واستخدام الزخارف الحجرية بألوان متناوبة في الواجهات الداخلية.

• البساطة في الواجهات الخارجية، وانعدام التزيينات أو الزخارف، مع استخدام نظام التلوين باستخدام الأحجار أو الرخام ذي الألوان المختلفة أو المتناوبة (الأبلق).

• تميزت المآذن العثمانية بكونها تتألف من (١٦) ضلعاً وشرفة من دون مظلة ونهايتها مخروطية ومصفحة بالرصاص، وترتفع المئذنة على زاوية الإيوان الخارجي الأيمن.

• إحاطة القبلية بالحدائق والساحات، مع انفتاحها عبر نوافذ سفلية وعلوية ثابتة نحو الخارج، مما يؤكد مبدأ استقلالية القبلية بأروقتها وإيواناتها الخارجية ومئذنتها عن المنشآت المحيطة بها ، وعن السور الخارجي لها.

• ظهور السدة المرتكزة على الأعمدة الرخامية، وبقاعدة خشبية مزخرفة أو رخامية، لتأخذ حيزاً من القبلية، وهي على يمين المدخل، ويصعد إليها على درج حجري داخلي مع سيادة السدة التقليدية فوق المدخل.

الفصل الرابع

# أثر عمارة المساجد العثمانية في سورية



# المساجد العثمانية في سورية

## المساجد في سورية قبل التأثير العثماني

تعد سورية مهداً لعدة حضارات، تعود إلى ما قبل الميلاد. وذلك لموقعها الإستراتيجي الذي دفع عدداً من الملوك والسلاطين للسيطرة عليها، وبتشييد أوابد معمارية لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، على الرغم من مضي عدة قرون على إنشائها.

فاستقبلت سورية حضارات متباينة ، وتأثرت بها بشكل مباشر عن طريق الحروب والاحتلال، أو بشكل غير مباشر عن طريق التجارة؛ لأنها محطة وصل مهمة تجارياً بين الشرق والغرب ، بالإضافة إلى طريق الحرير الذي كان يمر منها.

وفي ظل الإسلام فتحت سورية على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وقد اهتم بها أيضاً الخلفاء الراشدون.

شهدت سورية في العهد الأموي مرحلة ثرية ومهمة جداً، وذلك عندما أصبحت عاصمة للدولة الأموية، على يد معاوية بن أبي سفيان، الذي كان له دور رئيس في النهضة العمرانية التي شهدتها تلك الفترة، وكان أهم نموذج للعمارة الإسلامية وأضخمها هو الجامع الأموي، الذي ظهرت فيه أول قبة مع ظهور مئذنة البرجية لتصبح عنصراً ثابتاً في عمارة المساجد.

وقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) عن الجامع الأموي: «هو جامع المحاسن ، كامل الغرائب، معدود إحدى العجائب ، قد زود بعض فرشه بالرخام، وألّف على أحسن تركيب ونظام» .

تميز الجامع الأموي في دمشق الذي شيد عام ٧٠٦م بقبليته المغطاة بسقف خشبي مائل على شكل جمالوني، مساحتها مع باقي أقسام الجامع (١٥٧ × ٩٧ مترا).

أما قاعدة الجامع فمستطيلة ومؤلفة من ثلاثة أروقة، وهناك عدة محاريب صغيرة بالإضافة إلى المحراب الرئيس.



لقطة داخلية للجامع الأموي بمدينة دمشق - تصوير المؤلف



محراب جامع البهرمية- تصوير المؤلف

وهناك الجامع الأموي في مدينة حلب الذي تبلغ مساحته(١٠٥×٨٠ أمتار). وفي داخل الحرم عدة محاريب للصلاة، بالإضافة إلى المنبر الخشبي، ويوجد ثمانون عضادة موزعة تحمل ثلاثة أروقة. مئذنة الجامع مربعة وبرجية الشكل، يبلغ ارتفاعها ٤٢متراً، ولها ١٥٤ درجة تصل بين صحن الجامع وشرفة المئذنة.

مع نهاية الدولة الأموية، وانتقال السلطة إلى العباسيين في بغداد مركز الخلافة، شهدت سورية ركوداً عمرانياً. مع العلم أن النهضة العمرانية التي شهدتها سورية في العهد الأموي لم تقتصر على بناء المساجد فحسب، بل ظهرت القصور الأموية مثل قصر الحير الغربي الذي بني بأمر من هشام بن عبد الملك عام ٧٢٨م. ويعد هذا القصر من أفضل النماذج المعمارية للدولة الأموية، بتصميمه الداخلي وبتوزيع الغرف والقاعات المحيطة بباحة القصر. ومن الناحية الإنشائية أيضا باستعمال الحجارة والمداميك والقرميد والعوارض الخشبية، إضافة إلى الأبراج المستديرة والأسطوانية.

## المساجد في سورية بعد التأثير العثماني

بدخول السلطان سليم الأول سورية عام ١٥١٦م، دخلت معه نماذج عثمانية مصغرة للمساجد التي كانت منتشرة في الدولة العثمانية لتلك الفترة، بعيدة كل البعد عن الطراز المعماري الذي كان سائداً في سورية. فظهرت القبة المركزية الكبيرة لتغطية قاعة الصلاة، والمئذنة المخروطية المدببة المؤلفة من ١٦ضلعاً، وبشرفة من مظلة ، وانعدمت الأعمدة التي كانت منتشرة في القبلية (مكان الصلاة) . أما من الناحية الإنشائية فقد ظهرت الدعامات الحجرية لأعناق القبب ، وذلك لحمايتها من التصدع أو الانهيار

كما ظهرت طريقة استعمال الصفائح الرصاصية لتغطية القباب وقمم المآذن. وهذه الطريقة انتشرت في الدولة العثمانية بسبب هطل الثلوج والأمطار بغزارة، واقتصرت على بعض النماذج العثمانية في سورية لاختلاف المناخ بينهما، ومن ثم انقرضت.

علماً أن استعمال الصفائح الرصاصية ما يزال منتشراً إلى يومنا هذا بتركيا، في عمارتها الإسلامية والمدنية. ولهذا بقي عدد المساجد



ذات الأسلوب العثماني محدوداً جداً في سورية ففي مدينة حلب لا يوجد سوى أربعة نماذج للمساجد الجامعة وهي: الخسروية والعادلية والبهرمية والعثمانية، وقد درسناها في الفصل الثالث، بالإضافة إلى التكية السليمانية في مدينة دمشق.

ويعدّ مسجد الخسروية الذي صممه المعماري سنان سنة ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧م أول نموذج عثماني مهم في حلب، برواقه المسقوف بخمسة قباب، وقد تطور الرواق الأمامي ليصبح مزدوجاً في العادلية الذي بناه الوالي محمد باشا في سنة ١٥٥٥م.

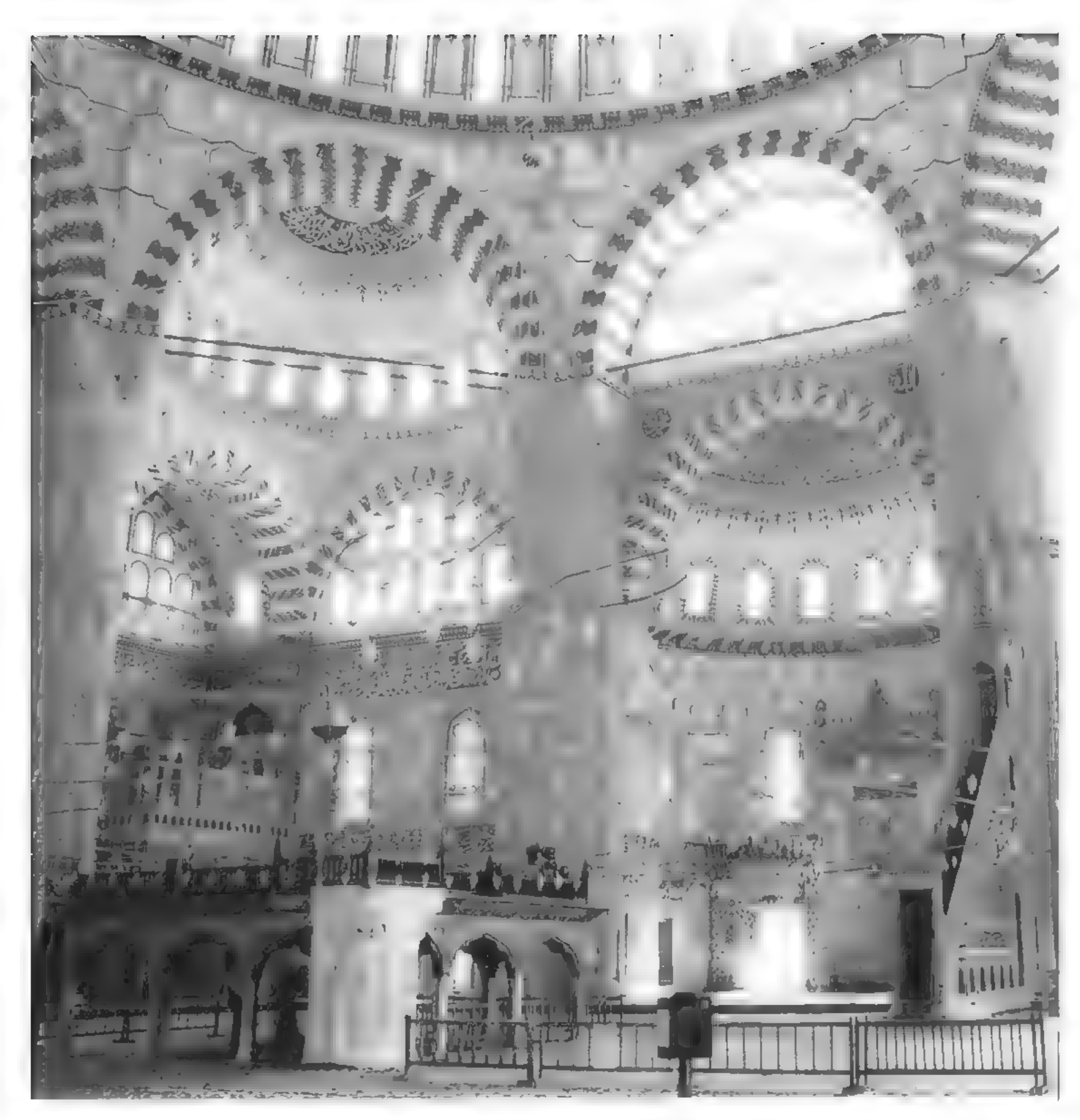
وتحولت العمارة الإسلامية العثمانية إلى مجمعات كمراكز ثقافية واجتماعية، لتقديم جميع الخدمات للمجتمع . كما هو الحال في التكية السليمانية التي احتوت على مسجد ومدرسة وقاعات للتدريس وغرف سكنية ومطاعم ومطابخ، لتقديم يد العون للطلبة والمحتاجين.

نلاحظ كيف انتقل الطراز العثماني من العاصمة إستانبول إلى سورية حاملاً معه هذا الفن الذي سمي بفن العمارة الفراغية المطلقة، مع الاختلاف الكلّي من ناحية حجم هذه الأشكال الفراغية، لتكون أصغر واشد بساطة من حيث الزخارف والتزيينات. إذا ما قورنت بتلك المساجد الضخمة المنتشرة في عاصمة الدولة العثمانية إستانبول أو أدرنة، كما وجدنا في جامع السليمانية الذي يضم مرافق أخرى، كالمكتبة والمستشفى والحمام والمدارس والتكية ، بالإضافة إلى المسجد

من بين السمات المهمة في العمارة الإسلامية العثمانية، الاستقلالية في بناء المساجد وملحقاتها عن باقي المباني السكنية أو التجارية، وهذا ما قام به المعماري سنان في جميع أعماله، وذلك بإنشاء سور خارجي مرتفع ليحيط بالجامع وملحقاته، فظهرت مساحات واسعة في تلك المساجد، لتتحول إلى مسطحات خضراء غنية بالأشجار والنباتات ذات الورد والأزهار ، وقد أضفت على التكوين العمراني للمسجد سمة جمالية رائعة، بالإضافة إلى قيامها بدور العازلية عن الجوار.



تحقيق مبدأ العازلية والاستقلالية في بناء المساجد، بواسطة الساحات العشبة بالمسطحات الخضراء ساحة جامع السليمانية بمدينة إستانبول ـ تصوير: المؤلف.



جامع السليمية من الداخل، ونلاحظ معالجة الفراغ الداخلي - تصوير. المؤلف



قبة جامع دولمابهجة، أسلوب بعيد كل البعد عن مدرسة سنان - تصوير المؤلف.

## مراحل تطور عمارة المساجد العثمانية في تركيا

لاحظت من خلال الفصل الثاني أن هذه الحضارة الثرية إن هي إلا حصيلة لعدة حضارات سابقة، كان أهمها الحضارة البيزنطية (كما هو الحال في جميع الحضارات).

فنجد أن القرنين الرابع عشر والخامس عشر كانا البداية الحقيقية لفن العمارة العثماني، مع التأثر بالعمارة السلجوقية، إذ بدأ ظهور القبب المتعددة والمتماثلة، وأهم مثال لتلك المرحلة جامع بورصة الكبير، الذي بني عام ١٣٩٦م في مدينة بورصة العاصمة الأولى للدولة العثمانية، ومن ثم ظهر شكل آخر بمدينتي بورصة وأدرنة العاصمة الثانية للدولة العثمانية، ذات المخطط (T) المقلوب، وكان أحد هذه النماذج هو المرادية الذي شيد بأمر من السلطان مراد الثاني عام ١٤٣٤م.

أما المرحلة الثانية التي شهدتها عمارة المساجد العثمانية في تركيا فكانت أهم مرحلة في تاريخ العمارة، وأشبه بالمرحلة الذهبية التي توجها فتح القسطنطينية (إستانبول) على يد محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، لنجد التأثر الملحوظ بكنيسة أيا صوفيا، من حيث ضخامة القبة وارتفاعها، مع انعدام الأعمدة الداخلية التي كانت منتشرة في السابق.

وظهرت معه مدرسة المعماري سنان الذي استفاد من الحضارة البيزنطية ليعطي للعمارة العثمانية هويتها المعمارية، وشكلها الثابت بمآذنها المخروطية المدببة والمتعددة، وقبابها المرتكزة على أنصاف القباب..

إلا أن تدهور الدولة العثمانية مع بداية القرن الثامن عشر، رافق عمارتها أيضاً بدخول فن الباروك الذي أطلق عليه زهرة التوليب ضمن نماذج جديدة وغريبة أيضاً في فن عمارة المساجد العثمانية، بالإضافة إلى الأسلوب الإمبراطوري الذي امتد إلى القرن التاسع عشر. وكان ذلك بسبب التوجه العثماني نحو الفن الأوروبي، وتقليد الغرب، وخصوصاً فرنسا من الباروك والروكوكو في تشييد القصور العثمانية ذات الأسلوب

الأوروبي، وبتشييد الجوامع الملاصقة لهذه القصور، كجامع دولمابهجة، بيد أن هذا الأسلوب كان بعيداً كل البعد عن المدرسة العظيمة التي أسسها المعماري سنان، إلى أن كانت العودة مع القرن العشرين للهوية الأصلية في عمارة المسجد، وكان ذلك على يد بعض المعماريين الجدد، مثل: المعمار كمال الدين (١٨٧٠ـ١٩٢٧م) الذي أعاد لهذه الحضارة مجدها القديم، وأهم تلك النماذج مسجد بوسطانجي في القارة الأسيوية، ومسجد ببك المطل على البوسفور من القارة الأوروبية، مع العلم بأن هذه المساجد أصغر حجماً ومساحة، مع البساطة في الزخارف والنقوش الإسلامية المستعملة فيها.

ويمكننا من خلال الجدول الآتي أن نحدد مراحل تطور العمارة الإسلامية للدولة العثمانية في تركيا بتحديد الطابع العام لها وفق القرون المتلاحقة من خلال بعض نماذج لهذه العمارة..

| المرحلة | الطابع | القرن | الشكل | النماذج | العام | المكان | السلطان |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| **بداية** | بدائي متأثر بالعمارة السلجوقية | الرابع عشر | قباب متعددة. (وحدات متكررة متماثلة). | جامع بورصة الكبير | ١٣٩٦م | بورصة | السلطان بايزيد |
| | | الخامس عشر | مخطط الحرف (T) المقلوب. | جامع المرادية | ١٤٣٤م | أدرنة | السلطان مراد الثاني |
| **ازدهار** | بيزنطي أياصوفيا | السادس عشر (النصف الأول) | قبة مركزية على جانبيها وحداتان متساويتان. | جامع بايزيد | ١٥٠٦م | إستانبول | السلطان بايزيد |
| | عثماني (سنان) | السادس عشر (النصف الثاني) | قبة مركزية مع الاستغناء عن أنصاف القباب وارتكاز القبة على قاعدة مثمنة. | جامع السليمية | ١٥٧٤م | أدرنة | السلطان سليم الثاني |
| | | السابع عشر | قبة ضخمة يحيط بها نصف قبة أصغر حجماً. | جامع السلطان أحمد | ١٦١٧م | إستانبول | السلطان أحمد |
| **تدهور** | فنّا الباروك والروكوك (زهرة التوليب) | الثامن عشر | تحول صحن الجامع إلى شكل بيضاوي ومع انعدام الشادروان. | نور العثمانية | ١٧٥٥م | إستانبول | السلطان عثمان الثالث |
| | الأسلوب الإمبراطوري | التاسع عشر | القبة محمولة على أربعة عقود ذات أبراج ركنية مع انقراض أنصاف القباب والصحن والبوائك. | دولمابهجة أورطاكوي | ١٨٥٤م | إستانبول | السلطان عبد المجيد |
| **عـودة** | عثماني (سنان) | القرن العشرون | قبة مركزية (مساحة أقل) | ببك بوسطانجي | ١٩٠٠م | إستانبول | السلطان عبد الحميد |



مسجد السليمية بمدينة أدرنة، ويحتوي على جميع العناصر الرئيسة للمساجد العثمانية - تصوير: المؤلف

## عناصر المساجد العثمانية

تتماثل جميع عناصر المساجد فيما بينهما مع اختلاف العصور والأقطار الإسلامية التي أنشئت فيها، وتبقى الانطلاقة الحقيقية لفن عمارة المساجد بوصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء، ومن ثم إلى يثرب، التي أسماها بالمدينة، وليأمر بإنشاء مسجده البسيط المؤلف من ثلاثة أروقة مسقوفة بالجريد وبجذع النخيل، وفناء كبير وواسع، مع تعدد المداخل له.

ومع توسع رقعة الإسلام بدأت تظهر عناصر جديدة في المساجد، لم تكن موجودة في المسجد النبوي، كما تطورت هذه العناصر وأخذت أشكال متميزة، وذلك لاختلاف العهد الذي أنشئت فيه، مع اختلاف مواد البناء والمناخ من منطقة إلى أخرى. وفي دراساتنا لعناصر المساجد العثمانية، يمكننا تقسيم هذه العناصر ثلاثة أجزاء، وفق الجداول الآتية

## العناصر الرئيسة

| العنصر | المميزات |
| --- | --- |
| القبلية | المسقط الأفقي المربع بمساحة واسعة وخالية من الأعمدة. |
| القبة | استعمال القبة الكبيرة المركزية (الفراغ المركزي). |
| المئذنة | الشكل المدبب والمخروطي، بالإضافة إلى تعدد المآذن لتصل إلى ست مآذن. |
| الصحن | يتم الوصول إلى القبلية عن طريق الصحن الواسع الذي تحيط به الأروقة ذات البوائك المسقوفة بالقبب. |
| الساحات والحدائق | تحيط بالجامع ساحة واسعة ذات حدائق جميلة، محققة مبدأ العازلية. بالإضافة إلى المقبرة. |
| مرافق أخرى | مكان الوضوء الأساسي، والحمامات الملاصقة للجامع وبمدخل مستقل. |

## العناصر التفصيلية

| العنصر | المميزات |
| --- | --- |
| المنبر | في معظم المساجد العثمانية كان المنبر مرتفعاً جداً، ليتماشى مع الحجم العام لفراغ القبلية، إما أن يكون رخامياً أو حجرياً مزيناً بشتى الأشكال الهندسية والكتابات القرآنية. |
| المحراب | حظي بعناية خاصة مع تزيينه إما بالمقرنصات وإما ببلاطات القاشاني المزين بأروع الأشكال النباتية والزخارف الإسلامية. |
| المحفل | ظهور المحفل المرتكز على أعمدة رخامية وسط القبلية. |
| السدة | ظهور السدة فوق المدخل (على شكل شرفة). |
| الشادروان | ظهر في وسط صحن الجامع بشكل دائري ومسقوف بقبة صغيرة. وهو مكان للوضوء أو للشراب بالإضافة إلى شكله الجمالي. |
| المقصورة | مكان لصلاة السلطان أو الوالي، وهو على شكل غرفة في القطاع الخلفي للمسجد، ولم تنتشر في جميع المساجد. |

## العناصر المعمارية

| العنصر | المميزات |
|---|---|
| الأقواس | انتشار الأقواس الحاملة للقبة ، ومنها على شكل حدوة الفرس المدبب. |
| الأعمدة | تم الاعتماد على الأعمدة الأربعة الضخمة في حمل القبة(رجل الفيل) ، وذلك في القبلية الواسعة. أما الأعمدة الخارجية الموزعة في أروقة المسجد، فتكون أشد رشاقة. |
| المقرنصات | تتكون من حنايا صغيرة مقوسة تشبه المحاريب يتدلى بعضها فوق بعض في طبقات وصفوف. |
| الأروقة | انتشار الأروقة ذات القبب والمحيطة بصحن الجامع (البوائك). |
| الأبواب | تتعدد المداخل في المساجد العثمانية فمنها المنفتح على القبلية مباشرة. وعلى الأغلب عن طريق صحن المسجد أو في كلتا الحالتين معاً، مع العلم أن تعدد الأبواب في الجدران الثلاثة غير جدار القبلية يساعد في عملية دخول المصلين وخروجهم خصوصاً في أثناء الازدحام (صلاة الجمعة). |
| النوافذ | تتوزع على عنق القبة للإنارة أو على الجدران الداخلية للقبلية ، ومنها المرتفع الثابت ذو الزخارف الإسلامية بزجاج معشق (ملون) والسفلي القابل للفتح، والمطل على صحن الجامع أو الجوار. |







لقطة داخلية لجامع السليمانية بمدينة استانبول، ونلاحظ العناية الفائقة بالمحراب والمنبر والواجهات الداخلية - تصوير المؤلف

## العوامل التي سهمت في تشييد المساجد العثمانية في سورية

على الرغم من حدوث انعكاسات متبادلة للعمارة في العهد العثماني بين العاصمة إستانبول وسورية، مع التبادل الفكري والثقافي لانتقال عدد من المهندسين والمهرة من أصحاب الحرف اليدوية من سورية إلى العاصمة العثمانية أو العكس. فقد ظهرت نماذج عدة للعمارة الإسلامية العثمانية في سورية، تحمل طرازاً عثمانياً متكاملاً من حيث الشكل والتصميم. ويعود ذلك إلى ثلاثة عوامل رئيسة:

### ١ ـ العامل السياسي

لقد كان للاستقرار السياسي في الدولة العثمانية دور مهم وأساسي في انتشار العمارة العثمانية الإسلامية، أو المدنية، كالقصور والخانات والحمامات.

فعندما يشعر السلطان بالراحة السياسية، بعيداً عن الحروب والمعارك. وبما يحرزه من انتصارات متواصلة، يتفرغ لترسيخ أساسات حكمه، وذلك بتشييد الأوابد التي تحمل اسمه، كما فعل السلطان سليمان القانوني حين أمر بإنشاء التكية السليمانية في دمشق، وجامع السليمانية ومرافقه في إستانبول عام ١٥٥٧م.

علماً أن فترة حكم السلطان سليمان (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) تعتبر من أهم المراحل التي شهدتها الدولة العثمانية عمرانياً بتشييد السدود والقنوات وجامع السليمانية، ولم يكن إصدار أمر بناء الجامع لهدف ديني فحسب، بل كان له اثر سياسي مهم، طالما يحمل اسم السلطان الذي أمر ببنائه، ليثبت به نفوذه. خصوصاً أن الدولة العثمانية طيلة فترة وجودها ظلت



لقطة داخلية لمسجد السليمانية بمدينة دمشق، ويظهر فيها تواضع المنبر والمحراب من حيث المساحة والعناية بالتزيينات الداخلية، مقارنة بجامع السليمانية بمدينة إستانبول، رغم أنهما يعودان لسلطان واحد، ولمعماري واحد، وتاريخ واحد ـ تصوير: المؤلف.

خاضعة للحروب والمعارك، بالإضافة إلى الفتن الداخلية والمحاولات التي كانت تستهدف السلطان بالتخلص منه قتلاً، أو بإرغامه على أن يتنحى عن العرش لغيره.

كما أن سمة إنشاء المساجد العثمانية، بطرازها العثماني البحت، كاد منتشراً في كل الدول التي خضعت للحكم العثماني. فبدخول الجيوش العثمانية لتلك المدينة يبدأ المعماريون بتشييد آثار عثمانية، تحمل اسم السلطان الفاتح لتلك المدينة؛ لأنها نتيجة قرار سياسي يتخذه السلطان، ومن ثم تتابع الجيوش العثمانية فتحها للدول المجاورة الأخرى، بعدما يضعون ركائزهم في تلك المدينة.

ويكون لكل ولاية والٍ خاص بها، ويأخذ التعليمات من الباب العالي؛ أي مركز الحكم في مدينة إستانبول.

يذكر الأستاذ الدكتور أندريه ريمون في كتابه (العواصم العربية عمارتها وعمرانها في الفترة العثمانية): «لقد اعتمدت الحكومات المحلية في تلك الولايات على ثلاثة عناصر: والٍ برتبة باشا، الجند وأهمها الانكشارية؛ والجهاز الشرعي الذي يشرف عليه قاضٍ يتم تعيينه من قبل مقر السلطنة في إستنبول

إن ولاية حلب الوحيدة التي كان يحكمها باستمرار باشا مبعوث من قبل الباب العالي، ومع هذا كان هؤلاء الباشوات يواجهون ضغطاً شديداً من جانب فئتين، لهما جذور عميقة في الشعب، وهما فئة الأشراف، وفئة الانكشارية.

نشأ في دمشق ما يشبه الأسر الحاكمة، فآل العظم الذين تولوا الحكم. مع فترات انقطاع قصيرة من (١٧٢٥-١٧٨٣م) سادت لهم البلاد كلياً في أيام أسعد باشا (١٧٤٣ ـ ١٧٥٧م).

## ٢ ـ العامل الاقتصادي:

إن تشييد أي أثر معماري ضخم بحاجة إلى ميزانية كافية تساعد على تغطية نفقات هذا الصرح الذي كان يدوم بناؤه عدة سنوات ، خصوصاً أن الدولة العثمانية حاولت جاهدة الاعتماد على أسلوب العظمة والضخامة في تشييد مساجدها وكلياتها.

فلم تنتشر المنشآت العثمانية إلا في مراحل الرخاء التي كانت تعيشها الدولة بعيداً عن الحروب والفتوحات؛ لأن الميزانية التي كانت تخصصها الدولة العثمانية في صنع المدافع الثقيلة، أو في صنع السفن الحربية، وغيرها من المعدات العسكرية.. لاتسمح لها إطلاقا باستعمال قسم من هذه الميزانية في إنشاء المساجد أو القصور.

أما بالنسبة إلى العمارة العسكرية فالأمر يختلف تماماً؛ لأن إنشاء الحصون والقلاع العسكرية كان له دور مهم وأساسي في توسع رقعة الدولة العثمانية التي سعت منذ نشأتها أن تمسح أكبر رقعة من الكرة الأرضية، وهذا ما حققته خلال عدة قرون .

ويعود سبب تواضع المساجد العثمانية في سورية، خصوصاً بالمساحات الضيقة والحجوم الصغيرة، إذا ما قورنت بالمساجد المنتشرة في إستنبول إلى الميزانية المحدودة التي خصصها الولاة، ولتحقيق مكاسبهم الشخصية، علماً أن تركيز الولاة في إنشاء المساجد الجامعة في مركز المدينة، ذات الكثافة السكانية والحركة التجارية المستمرة، قد جعلهم متقيدين بالمساحات الضيقة.

أما في إستنبول فقد كان مركز الحكم ، ومكان إقامة السلطان الذي يختار الأمكنة المناسبة والمرتفعة، والمساحات الواسعة، والميزانية الخاصة.

ليخلّد اسمه في ترك الأوابد المعمارية الإسلامية. وكان يدفن السلطان في كليته مع بعض أفراد أسرته، ضمن غرفة متعددة الأضلاع في ساحة الكلية مثل كلية السلطان محمد الفاتح، والسلطان سليمان القانوني وغيرهم من السلاطين.

## ٣ ـ العامل الثقافي:

لم يكن للعامل الثقافي الأثر الكبير في عمارة المساجد العثمانية؛ لأن بناء المساجد في تلك الفترة كان يعتمد على قرارات سياسية بعيدة كل البعد عن المتغيرات المجتمعية.

هنا لابد لنا أن نذكر حالة الشعب السوري إبان الفتح العثماني لسورية وبجميع طبقاته، قد استقبل السلطان سليم الأول عام ١٥١٦م بالترحيب والتهليل. دون أي صراع أو مواجهة. بعدما رأوا أن الدولة العثمانية هي المنقذ الوحيد لهم من المغول خصوصاً أن هذه الدولة قد اعتمدت في حكمها على الشريعة الإسلامية، بما تحمله من عدل ومساواة.

والحكومة العثمانية المركزية في إستانبول منحت سورية حكماً ذاتياً في مجالها الثقافي، مع سيادة اللغة العربية، دون أي محاولات للتدخل أو بالتأثير فيها بشكل مباشر، أو غير مباشر.



استخدام الأروقة الداخلية في جامع السليمانية ـ تصوير: المؤلف

ولهذا حصل تأييد ودعم شاملان من العلماء والمفكرين في سورية للحكم العثماني مما ساعد على توطيد العلاقة بين العرب والعثمانيين، والتبادل الفكري والثقافي بينهما خصوصاً أن هذا التبادل قد قام على أسس دينية

ولم تبدأ الاصطدامات بين المفكرين السوريين والحكام العثمانيين إلا في القرن التاسع عشر. ويذكر محمد م. الأرناؤوط في بحث نشر له في صحيفة الحياة في العدد ١٣٤٠٥ الصادر بتاريخ السبت ١٢ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٩م تحت عنوان (علماء دمشق في مطلع القرن: بين التقليد الموروث والتحديث المفروض):

«إلا أن القرن التاسع عشر حمل جملة من التطورات هزت هذه العلاقة المستقرة. ففي خريف ١٨٣١م فوجئ العلماء بانهيار النظام العثماني أمام تقدم جيوش محمد علي باشا في بلاد الشام إلا أنهم لم يتخلوا عنه بسهولة ففي البداية عندما حاول محمد علي باشا أن يحصل من علماء الشام على فتوى تفيد بعدم صلاحية السلطان العثماني محمود الثاني وقدرته على الحكم، جاء رد علماء دمشق ببطلان هذا القرار، لذلك رحب العلماء في سنة ١٨٤٠م بعودة النظام العثماني، الذي لم يعد في الواقع كما كان نتيجة للتنظيمات (الإصلاحات الجديدة) وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى حرص علماء دمشق على التعبير عن تأييدهم للسلطنة في هذه الحرب، بعد أن أعلن السلطان العثماني الجهاد، وهكذا شاركت نخبة منهم في الوفد الذي ذهب إلى إستنبول في أيلول ١٩١٥م للتهنئة بالانتصار العثماني في الدردنيل على القوات الإنجليزية».

# الخـــلاصة

**السؤال الذي يطرح نفسه الآن بعد هذه الدراسة:**

هل احتفظت سورية بطابعها الخاص، وطرازها الإسلامي في بناء المساجد خلال العهد العثماني، أم أنها تأثرت بالطراز العثماني الذي كان سائداً في القرن السادس عشر؟

للإجابة عن هذا السؤال، وبالعودة إلى النماذج التي درسناها في الفصل الرابع لبعض المساجد العثمانية المنتشرة في سورية. مع التركيز في القرن السادس عشر لأهميته في تاريخ سورية، حيث دخلت القوات العثمانية في هذا القرن (السلطان سليم الأول) ١٥١٦م ، نجد أن الدولة العثمانية ممثلة بسلاطينها، أوبالولاة الحاكمين لها، قد توجهت إلى الأمر بتشييد مساجد تحمل طرازاً عثمانياً متكاملاً ؛ لتأسيس قواعدها، ولتبرهن على قوة نفوذ سيطرتها على سورية (ولاية دمشق وولاية حلب).

مع تقديم الولاء الكّلي للباب العالي (مركز الحكم في إستانبول). ليكون الطراز المعماري السائد في عمارتها الإسلامية عثمانياً وبشكل كامل. بالإضافة إلى النهضة العمرانية التي شهدتها تلك الفترة ؛ وذلك لاهتمام السلطان سليمان القانوني بفن العمارة والبناء. ولولادة الفن العثماني على يد المعماري سنان الذي حاول نشر أعماله في أرجاء الدولة العثمانية لتلك الفترة.

هذه السمة تنطبق على عدد محدود من تلك المساجد العثمانية التي تأثرت بالطراز العثماني في سورية، مع الاختلاف الكلي بالحجم للفراغ المركزي. بالإضافة إلى افتقارها للتزيينات الداخلية في القبلية من رسومات هندسية أو كتابات قرآنية، إذا ما قورنت بثراء المساجد العثمانية في تركيا من الداخل، إذ وجدنا كيف تحولت القبلية إلى متحف غني بأجمل اللوحات الإسلامية، من المقرنصات والرسومات النباتية على محيط ومركز القبة من الداخل، أوعلى البلاطات القاشانية الملونة المغطية لجدران القبلية. كجامع السلطان أحمد الذي سمي بالجامع الأزرق نسبة لبلاطات القاشاني المثبتة على جميع جدرانه وأعمدته الداخلية.

أما في سورية فقد كان الوالي منصاعاً لتعليمات الباب العالي، للمحافظة على الطراز العثماني في عمارة المساجد، بالإضافة إلى الميزانية الضعيفة التي كان يضعها الوالي. ويعود إلى أن بناء المساجد كان خاضعاً لقرار سياسي، ولا دخل للتغيرات المجتمعة فيه. كالتي يمكن أن نجدها في العمارة المدنية، ونقصد بها المساكن.

فكان الطراز العثماني السائد في سورية غريباً جداً، وبعيداً كل البعد عن العمارة العربية الإسلامية التي كانت سائدة قبل العهد العثماني.

وظلت هذه النماذج محدودة، ففي القرن السادس عشر تم بناء ثلاثة مساجد في مدينة حلب هي الخسروية (١٥٣٧م)، والعادلية (١٥٥٥) والبهرمية (١٥٨٣). وفي دمشق تم إنشاء التكية السليمانية (١٥٥٧م)، وجامع سنان باشا (١٥٩٠).

مما يثبت لنا قوة الدافع السياسي في القرن السادس عشر. ويدفعنا إلى إثبات فرضية الدراسة، بأنه حدث تأثير واضح في العمارة العربية الإسلامية خلال القرن السادس عشر.

لكن تأثير العمارة المحلية ظل واضحاً في معظم تلك النماذج.

# الخاتمة

وفي ختام بحثنا الذي قمنا من خلاله بدراسة العمارة الإسلامية العثمانية المنتشرة في تركيا، والتي انطلقت من عواصم الدولة العثمانية التي كانت أولها بورصة، ثم انتقلت إلى أدرنة، وأخيراً إستانبول، لتستمر هذه الحضارة ستة قرون حافلة بالأحداث السياسة والفتوحات والمعارك.

وبدراسة بعض النماذج للمساجد العثمانية في سورية، مع التركيز في أثر العمارة الإسلامية العثمانية في العمارة العربية في سورية. وذلك في القرن السادس عشر (١٥٣٦ ـ ١٥٩٠م) ٥٤ عاماً لنثبت وجود هذا التأثير، نتيجة لدوافع سياسية قوية، ظهرت في القرن السادس عشر، الذي كان حافلاً بأهم المساجد الجامعة في مدينتي دمشق وحلب، ليدوم هذا الحكم في سورية أربعة قرون.

ويبقى طريق البحث مفتوحاً على مصراعيه لكل راغب في دراسة تاريخ الحضارات الماضية، من خلال أوابدها المعمارية التي تحمل في أثنائها الدروس والعبر، وتبقى الحضارة العثمانية غنية في جميع مجالاتها. ولولا قوة الإمبراطورية لما توسعت وصمدت أمام رياح المطامع الغربية التي حاولت هدم صرح هذه الإمبراطورية، ولولا انسياق بعض السلاطين وانجرافهم في هذا التيار لما انهارت أو تمزقت وتشتت.

وتظل مدرسة المعماري سنان خالدة بمناهجها التصميمية التي أصبحت مصدراً ثرياً لعدد من المعماريين الذين استفادوا من أعماله، وقاموا بتطويرها في عدد من المساجد الحالية، إذ ساهم بعض المعماريين الأتراك و العرب في إحياء عمارة سنان، وفي توظيف هذه التصاميم في عمارتنا الإسلامية الحديثة، مثل المعماري وداد دالوكايا الذي صمم مسجد كوجاتبة بمدينة أنقرة على قمة كوجاتبة المرتفعة وعلى الطراز العثماني، وقد افتتحه عام ١٩٨٧م رئيس وزراء تركيا ـ في حينها ـ الراحل توركوت أوزال.

وهناك المعماري نجيب دينج الذي صمم كلية وجامع صابونجي بأدرنة عام ١٩٨٨م، وجامع جامعة إنونو بمدينة ملاطيا بتركيا لتكون هذه النماذج امتداداً لعمارة سنان. ومن بين المعماريين العرب الدكتور عبدالواحد الوكيل الذي استفاد من عمارة سنان في مسجد بن لادن بجدة، حيث وضع القبة على قاعدة سداسية ترتكز من جوانبها الأربعة على أنصاف قباب في شكل عقود قطرية، وقد مكنه هذا من توسيع المربع إلى حيز مستطيل الشكل، وهذه التجربة مقتبسة من مسجد سوكولو محمد باشا في إستانبول، وقد استخدم الوكيل في مسجد السليمان بجدة القبة المرتفعة والمبنية بطريقة البناء التقليدية المتمثلة بالركائز الحرة دون استخدام القوالب، ويكتمل سقف مساحة قاعة الصلاة الرئيسة كلها بواسطة ثلاث قباب أصغر حجماً على كل جانب من جوانب القبة الرئيسة. وهذا النموذج قد استخدمه سنان في تصاميمه أيضاً.

وما أحوجنا اليوم إلى دراسة تراثنا العمراني العريق للاستفادة منه، والتمسك به، والدفاع عنه، بعدما ظهرت طفرة بناء المساجد الحديثة والمجهولة الهوية وبمآذنها ذات الأشكال الغريبة، مما يدفعنا إلى وضع معايير تصميمية تتماشى مع تراثنا العمراني، بالإضافة إلى معايير تخطيطية يحدد من خلالها الموقع المناسب لبناء المسجد، إذ نجد تلاصق عدد من المساجد بمنطقة واحدة، مع انعدامها في منطقة أخرى، مما يسبب صعوبة الوصول إليها من قبل المصلين الجوار.

أما بالنسبة إلى المساجد القديمة فيجب أن يكون هناك عملية توثيقية مدروسة لجميع هذه المساجد مع القيام بصيانتها وترميمها وفق برامج منتظمة ودقيقة كي تحافظ على شكلها العام وتقوم بخدمة المصلين لكونها بيوت الله. بالإضافة إلى جمع هذه المساجد ضمن قاعدة للمعلومات تساعد الباحث على التعرف إليها، وللوصول إلى أدق التفاصيل.

وأخيراً نقف أمام الأحداث التي تدور في رحى الأعوام، ونجد القرون قد مضت لتخلّد لنا آثاراً وأوابد شامخة تدعونا إلى الدخول في فناء البحث، والسير بين أروقة المعرفة. من خلال المخطوطات والمؤلفات، لننفض الغبار عن هذه الوثائق، في محاولة تحليلية تستهدف تقصي جميع هذه الحقائق ومعرفتها بكل إدراك وتمعن، كي نستفيد منها ونحن نرسم ونخطط لجيل قادم، كي يشعر بالفخر بأعمال أجداده، كما نشعر به الآن حيال أجدادنا العظماء.

# معجم المصطلحات الفنية *

# Glossary

| التسلسل | Turkish تركي | English إنجليزي | Arabic عربي |
|---|---|---|---|
| 1 | ABDEST | *Ablution* | ميضأة، مكان الوضوء الملحق بالمسجد. |
| 2 | AVLU | *Courtyard forming a summer extension of a mosque* | صحن أو فناء الجامع . |
| 3 | BAROK | *Baroque* | باروك (أسلوب زخرفي أوربي، القرن١٦ـ ١٨) كلمة من أصل برتغالي، تعني الغريب أو المحوّر عن أصله،وقد أطلقت على أسلوب زخرفي ساد العمارة الكاثوليكية في البرتغال وإسبانيا وإيطاليا وبعض بلاد أوربا وأمريكا اللاتينية من (١٦٠٠ ـ ١٧٢٠م). وهو في الإفراط الزخرفي، وقد شاع هذا الأسلوب في العصر العثماني المتأخر وطغى على كثير من العمائر الإسلامية.<br>وكانت مرحلة الروكوكو التي ظهرت حول عام ١٨٣٠ و ١٨٤٠م هي آخر مراحل هذه المدرسة أو هذا الأسلوب. |
| 4 | CAMİ | *Afriday Mosque (Cuma) With a minbar from which the Khatip may peaches weekly sermon or hutbe* | جامع تقام فيه صلاة الجمعة. وله منبر يصعد إليه الإمام كل يوم جمعة لإلقاء خطبته. |
| 5 | ÇEŞME | *Fountain* | صنبور للماء الجاري لخدمة الناس في الطريق أو الجامع . |
| 6 | DERGAH | *Hanikah .tekke or dervish convent* | التكية: مكان إقامة المشايخ وطلبة العلم. |

* رتبت المصطلحات الفنية حسب الأبجدية التركية

| التسلسل | Turkish تركـي | English إنجليزي | Arabic عـربـي |
|---|---|---|---|
| 7 | DERSHANE | *Studay or lecture hall or both at various times* | مدرسة يتلقى فيها الطلبة أصول الدين وأحكامه. |
| 8 | EYVAN | *A vaulted or domed recess open on one side* | الإيوان: وهو على شكل مصطبة مفتوحة من جهة واحدة. |
| 9 | HOCA | *Teacher* | إمام أو عالم وهي كلمة فارسية الأصل. |
| 10 | HÜCRE | *A cell* | حجرة، غرفة. |
| 11 | HUTBE | *See Camii* | خطبة (مثل خطبة الجمعة) |
| 12 | İMAM | *Person who leads the Islamic community in Prayer* | الامام. |
| 13 | KAİDE | *Base* | قاعدة. |
| 14 | KEMER | *Arch* | عقد، قوس، بواكي. |
| 15 | KITABE | *Plaque with inscription usually found over mosque doors* | الكتابات القرآنية وغالباً ما نجدها فوق أبواب المساجد أو الجوامع. |
| 16 | KIBLE | *Direction of the Ka'bah in Makkah towards which all Muslims turn in prayer wherever they may be on earth. Ascertaining the precise qible is extremely important in the building of a mosque* | القبلة (اتجاه الكعبة). |

| التسلسل | Turkish تركي | English إنجليزي | Arabic عربي |
| --- | --- | --- | --- |
| 17 | KORKULUK (TIRABZAN) | *Balustrade* | درابزين. |
| 18 | KUBBE | *Dome* | قبة. |
| 19 | KÜLLİYE | *Educational and charitable dependencies of a mosque.* | الكلّيّة: مجمّع يضم العديد من المباني من أهمها الجامع. |
| 20 | KÜRSÜ | *High chair for the imam when teaching* | الكرسي: المكان الذي يجلس عليه الإمام لتقديم دروس الدين قبل خطبة الجمعة أو في المناسبات الأخرى (شهر رمضان). |
| 21 | KÜLAH | *Cone top of minaret* | رأس المنارة العثمانية (مخروطي الشكل). |
| 22 | KÜTÜPHANE | *Library* | المكتبة |
| 23 | MAHFİL | *Tribune for muezzins or the royal loge.* | المحفل: وهو المكان المرتفع الذي يجلس عليه المؤذن أو السلطان. |
| 24 | MEDRESE | *College for the teaching of the orthodox law (sunni)* | المدرسة: وتطلق على الأمكنة التي تدرّس الشريعة الإسلامية بتركيا. |
| 25 | MEKTEB | *Koran school* | المكتب: مدرسة صغيرة لتعليم وتحفيظه. |
| 26 | MESCİT | *A prayer hall without a minber not used for the noon prayer on Friday* | مسجد: مكان الصلوات الخمس ولا تقام فيه صلاة الجمعة لهذا السبب لا يحتوي على منبر. |
| 27 | MEYDAN | *Open space* | ميدان ـ ساحة ـ مكان مفتوح وواسع. |

| التسلسل | Turkish تركـي | English إنجليزي | Arabic عـربـي |
| --- | --- | --- | --- |
| 28 | MİHRAP | *A flat panel or a recess, curved or square indicating the direction of the qibla of Makkah.* | المحراب: السطح المنحني نحو الداخل والذي يقف الإمام مقابله لأداء الصلاة، وهو إشارة توضيحية لاتجاه القبلة. |
| 29 | MİNBER | *The hooded dais reached by long stairs from which the khutba is declaimed at noon on Fridays* | المنبر: وهو المكان الذي يصعد إليه الأمام لإلقاء خطبة الجمعة أو خطبة العيد. |
| 30 | MİNARE | *Minaret* | المنارة أو المئذنة. |
| 31 | MUSALLA | *Prayer place* | المصلى (مكان إقامة الصلاة). |
| 32 | MÜDERRİS | *Professor and director of a collage member of ulama* | المدرس الذي يعلم أصول الدين (عالم). |
| 33 | MÜEZZIN | *Mosque officer responsible for the call to prayer* | المؤذن الذي ينادي للصلاة. |
| 34 | MÜFTÜLÜK | *Headquarters of the grand mufti of Shaikh Al-Islam* | دار الإفتاء: وتصدر هذه الفتاوى عن شيخ الإسلام (المفتي العام). |
| 25 | NAMAZ | *Headquarters of the grand mufti of Shaikh Al-Islam* | الصلاة. |
| 36 | NAMAZĞAH | *Open air mescit or cami , especially for the army* | مكان الصلاة المفتوح وخاصة للعساكر في أثناء الحرب. |
| 37 | ÖRGÜ | *Arabesque Ornament* | ضفيرة: تعبير زخرفي. |
| 38 | PADİŞAH | *Sultan* | السلطان. |
| 39 | PAPUÇ | *Base of minaret* | القدم ( قاعدة المنارة ) |

| التسلسل | Turkish تركـي | English إنجليزي | Arabic عـربـي |
|---|---|---|---|
| 40 | REVAK | *A domed or vaulted colonnade enclosing a court* | الرواق ـ البوائك: وهي مسقوفة بالقبب وتحيط بصحن الجامع . |
| 41 | SADRAZAM | *The grand vezir or chancellor of the Empire.* | الصدر الأعظم =رئيس الوزراء. |
| 42 | ŞADİRVAN | *The fountain for ritual ablutions before prayer* | الشادروان = وهو مكان وضوء يتوسط صحن الجامع (والكلمة فارسيةالأصل). |
| 43 | SARAY | *Palace* | السرايا– القصر. |
| 44 | SEBİL | *Tank from which an attendant issues cups of water . from behind a grill* | السبيل: وهو مكان لسقاية المارة من الماء البارد، ويكون على شكل مبنى مستقل. |
| 45 | SELATİN CAMİ | *An imperial mosque . with two or more minarets* | الجامع السلطاني: ويتميز بتعدد مناراته فإما أن يكون له منارتان أو أكثر، وغالباً ما يدفن السلطان وبعض أفراد أسرته في الجامع نفسه . |
| 46 | ŞEREFE | *Gallery of a minaret from which call to prayer is made* | الشرفة الموجودة على المنارة لصعود المؤذن إليها. |
| 47 | SEYH | *Head of a religious order* | الشيخ(العالم). |
| 48 | SIBYAN MEKTEB | *Koran school for small boys* | مكتب الصبيان: مدرسة لتعليم القرآن الكريم ومخصصة للصغار فقط . |
| 49 | SON CAMAAT YERİ | *The portico of a mosque where late comers could pray before external mihrabs . It is an extension of the mosque area in a way that the rewaq are not* | مكان آخر جماعة للمصلين: وهو أشبه بملحق للقبلية يصلي فيه المتأخر عن الصلاة، ويكون صلة الوصل بين صحن الجامع والقبلية. |

| التسلسل | Turkish تركي | English إنجليزي | Arabic عربي |
|---|---|---|---|
| 50 | TAHTA | *Wooden plat form throne* | التخت: وهو مصطبة خشبية يجلس عليها السلطان. |
| 51 | TEKKE | *Dervish convent* | التكية: وهي مكان إقامة الدراويش والعلماء وطلبة العلم، ومكان تعليمهم. |
| 52 | TUĞRA | *Seal of the sultan* | الطغرة العثمانية (توقيع السلطان). |
| 53 | TÜRBE | *Tomb or mausoleum* | المقبرة. |
| 54 | VAKIF | *Building which is a religious endowment* | الوقف. |
| 55 | Zaviye | *The cell of a recluse, but in this context the hostel of the Ahi sect, The Brotherhood of Virtue, which was connected with the guilds and Janissaries. The word came to be applied to lodgings for itinerant dervishes and later the imaret system of the major mosques.* | الزاوية. |

# المراجع العربيّة والأجنبيّة

# Bibliography


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آصلان آبا، أو قطاي: فنون الترك وعمائرهم، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستنبول، ترجمة أحمد محمد عيسى، إستنبول،١٩٨٧م.

٣ ـ أبو خليل، شوقي: أطلس التاريخ العربي الإسلامي دار الفكر، دمشق١٩٩٦م.

٤ ـ الأرناؤوط، محمد م. علماء دمشق مطلع القرن: بين التقليد الموروث والتحديث المفروض، صحيفة الحياة، السبت ٢٠ تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٩٩م الموافق، ١٢ شعبان ١٤٢٠هـ العدد ١٣٤٠٥ .

٥ ـ الألفي، أبو صالح: الفن الإسلامي- أصوله، فلسفته مدارسه دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م.

٦ ـ الريحاوي، عبد القادر: قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني ـ الجزء الثاني. منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ـ دمشق. ٢٠٠٠م

٧ ـ البهنسي، د. عفيف: الفن الإسلامي- أصول للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٦م.

٨ ـ حرب، محمد: العثمانيون في التاريخ والحضارة ـ دار القلم ـ دمشق ١٩٨٩م.

٩ ـ الخضر، عبد المعطي: تاريخ العمارة ٣، العمارة في العصور الوسطى: العمارة الإسلامية والأوربية، مطبعة جامعة حلب ١٩٩٠م.

١٠ ـ ريمون أندريه:العواصم العربية وعمرانها في الفترة العثمانية- تعريب قاسم طوير- دار المجد- دمشق١٩٨٦م.

١١ ـ الصايغ، سمير: الفن الإسلامي- قراءة تأملية في فلسفتهم وخصائصه الجمالية، دار المعرفة، بيروت- لبنان١٩٩٨م .

١٢ ـ عثمان، نجوى: الهندسة الإنشائية في مساجد حلب. رسالة قدّمت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العلوم التطبيقية، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٩٢م.

١٣ ـ عكاشة، د. ثروت: تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة،١٩٩٤م.

١٤ ـ فرحات، د. يوسف:المساجد التاريخية الكبرى، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس- لبنان .

١٥ ـ مجلة البناء، السنة السادسة ـ العدد ٣١ محرم، صفر ١٤٠٧هـ -أكتوبر، نوفمبر١٩٨٦م.

١٦ ـ مجلة البناء، السنة السادسة ـ العدد ٣٤ ـ رجب شعبان ١٤٠٧هـ - أبريل / مايو ١٩٨٧م.

١٧ ـ المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، لبنان ١٩٨١م.

1. *Aslanapa, Okaty: osmanly Devri Mimarisi- Inkilap Kitapevi, Istanbul, 1986.*

2. *Aslanapa, Oktay: Turk Sanati- Remzi Kitap evi Evrin Mathaacilik Ltd. Sti, Istanbul, 1993.*

3. *Bayram, Sadi: Mimarbasi Koca Sinan Yasadigi cag ve Eserleri, T.C. Vakiflar Mudurlugu. Istanbul, 1988.*

4. *Goodwin, Godfrey: A History of Ottoman Architecture, Thames and Hudson Ltd., London, 1971.*

5. *Guney, Reha: Mimar Sinan ve Eserleri. Yapi – endutri merkezi yayinlari Istanbul, 2002.*

6. *Hillenbrand, Robert: Islamic Architecture, from, fuction and meaning. Edinburg University press 1994.*

7. *Hillenbrand, Robert: Islamic Art and Architecture. Thames and Hudson Ltd., Lond0n. 1999.*

8. *Hoag, John D: Islamic Architecture (History of world architecture), Harry N. Abrams, Inc., Publishers, New York, 1977.*

9. *Keskiner, Cahide: Turkish Motifs- Turkish Touring and Automo- bile Association Ltd. Istanbul, 1991.*

10. *Kuran, Aptullah: Mimar Sinan, Hurriyet Vakfi Yayinlari, Istanbul, 1986.*

11. *Michell, George: Architecture of the Islamic World. Its History and Social Meaning. Thames and Hudson, London, 1996.*

12. *Nejdat Erzen, Jale: Structural and Spatial Evolation of Mosque Ar-chitecture in Ottoman Turkey: The Classical Age.*

*Proceeding of the Symposium of Mosque Architecture, Volume 4. The Architectural Design of Mosques, Riyadh, Saudi Arabia, 1999.*

13. *Nejdat Erzen, Jale: Mimar Sinan Estetik Bir Analiz, Sevke Vanli Mimarlik Vakfi, Ankara, 1996.*

14. *Palmes, J.C: Sir Banister Fletcher's A History of Architecture.*

*The Royal Institute of British Architects and The University of London, 1975.*

14. *Sozen Metin: The Evolution of Turkish Art and Architecture. Ak- sit Kultur Sanat Turizm Ajans ve Ticaret Ltd Sti. Istanbul, Tur- key.*

15. *Stierlin, Henri: Turkey from The Selcks to the Ottomans, Tas- chen's world Architecture Italy, 1971.*